أنثى ليست للبيع

جزئيّات تفصيلية معقدة وشائكة في حياة النساء

علياء الأنصاري

بسم الله الرحمن الرحيم

أنثى ليست للبيع

جزئيّات تفصيلية معقدة وشائكة في حياة النساء

علياء الأنصاري

المركز الإسلامي الثقافي
مجمع الإمامين الحسنين عليهما السلام

تصدير

بقلم من الجرأة والصبر تكتب.. بعنفوان إسلاميّ يتسامى خارج الخضوع إلا لله تعالى.. تدوّن أفكارها.. بروحٍ رسالية لا تعرف انغلاقاً أو انطواءً أو ذعراً.. تكتب الحقيقة..

بإباء مجبولٍ بروح التحدّي والمواجهة المستمدّةِ من عمق الفكر الإسلامي الذي يطمس الظلام ليشقّ الطريق للنور، تسرد وقائع، تستفزُّ فيها رجلاً، جعل من نفسه إلهاً، فرعوناً، طاغوتاً، يمارس العنف على امرأة، والمجتمع يصفّق له، يضربها، يذلّها، يخنق آمالها وتطلّعاتها، يحاول أن يجعلها جاريةً، لا تعترض، لا تتكلّم، لا تتحدّث.. كلّ مسؤوليّاتها في الحياة أن تسجد له وتركع وتحقّق له شهواته ومتطلّباته وما تنزع إليه نفسُه..

علياء الأنصاري، بالقلم واجهت هذا الطاغوت الرجوليّ..

بالفكر، جعلت منه خيوطاً عنكبوتية تتمزّق بنفخة من فم طفل..

بالفكر القرآني، زلزلت عرشه المبنيَّ على الكِبْر والخُيلاء وأوقعت الهيكل فوق رأسه..

علياء الأنصاري نموذجُ المرأة الرسالية التي قرأت السيد فضل الله (رضوان الله عليه) فرأته النصير والمدافع والأب للأنثى، الذي رفعها انطلاقاً من القرآن إلى مستوى القِمّة، فوصلت علياء الأنصاري

بجهدها إلى تلك القِمّة فرأت الكثيرين من الذكور «صغاراً» بما يمارسونه ضدّ إنسانيّة وكرامة وعزّة وحق المرأة..

علياء الأنصاري درست واقع الأنثى في واقعنا العربي والإسلامي، واتخذت من أنثى العراق نموذجاً، خلصت إلى نتيجة مُفادها أنّ الفتاة ـ زوجة، أماً، أختاً، ابنةً ـ مقهورةٌ، والقاهرُ هو الرجل، وينبغي أن يُضرَب على يد هذا الرجل ليتوب إلى الله ويرجع عن قهره وغيّه وضلاله..

استعرضتْ وقائع وأحداثاً معقّدة وحقيقيّة وقدّمتْها للقرّاء الأعزاء بأسلوب رشيق وذوق أدبي رفيع..

علياء الأنصاري أكبر من الألقاب، هي الكاتبة العراقية ابنة بابل (الحلّة) والروائية والإعلامية والناشطة في مجال حقوق الإنسان والمديرة التنفيذية لمنظمة بنت الرافدين/ بابل، إضافة إلى عضويّتها في الكثير من المنظمات الحقوقيّة والبيئيّة والتنمويّة والمشاريع الخيريّة وما إلى ذلك.

ويشرّفنا في المركز الإسلامي الثقافي أن ننشر هذا الإصدار «أنثى ليست للبيع» للأستاذة علياء الأنصاري، علّنا نساهم في تسليط الضوء على واقع الفتاة المسلمة لتخرج ممّا يصادر حرّيتها وإنسانيّتها، متمنّين التوفيق والنجاح لأستاذتنا الكبيرة علياء الأنصاري.

والله الموفّق

مدير المركز الإسلاميّ الثقافيّ

شفيق محمّد الموسوي

ربيع الأول ١٤٣٨ هـ

كانون الأول ٢٠١٦ م

المقدّمة

يؤلمني أنّ الإنسانية تحاول أن تجد ورقة توتٍ كي تستر مساوئها، فلا تفلح!

وكيف يمكن لورقة توتٍ صغيرة أن تستر مساوىءَ بحجم السماء والأرض!

وما يزيد في إيلامي، أنّنا جزءٌ من هذه المساوىء!

يؤلمني بأنّي جزءٌ من أمة لازمتها عقدٌ متعدّدة، استحكمت فيها وشلّت حركتها الفكرية لتبدو كشيخٍ عجوز يُحْتَضَرُ بعيداً في منفاه!

لقد خرجنا عن الفطرة السليمة.. وَخدَشْنا حُسْنَ ظنِّ الله فينا..

الفطرة السليمة التي يُولَد عليها الإنسان.. يُولَد صادقاً لا يعرف الكذب، أميناً لا يعرف الغش، محبّاً لا يعرف البغض، مسامحاً لا يفهم معنى الضغينة..

يُولَد محصّناً بمنظومة قِيميّة راقية للحياة، ومدعومة بالإرادة التي يملكها الإنسان والتي تمكّنه من اختيار أحد النجدين، إما الخير وإما الشرّ..

فبالفطرة السليمة التي يُولَد بها الإنسان مع الإرادة والعقل،

تتكامل إنسانيته وتتحدّد صلاحيات دوره في الحياة، في إعمارها ورقيّها وارتقائها.

تلك الفطرة التي نعبّر عنها غالباً بـ (براءة الأطفال)، تلك البراءة التي تسحرنا وتجذبنا إليهم لأنّهم ما زالوا أنقياء، ودودين، أبرياء!!

في حقيقة الأمر، نحن نعشق فيهم، ما فقدناه فينا!

نعشق فيهم ما خسرناه، وما ضاع منّا في زحمة الحياة وغفلتنا.

فالإنسان يبقى محتفظاً بفطرته السليمة حتى تأتي التربية الأُسريّة لتخدشها، ثمّ التنشئة المجتمعية، ومن ثَمّ مناهجُ التعليم ونظام المدرسة.. وانتهاءً بوسائل الإعلام ومفاصل المجتمع الأخرى، والتي تتأثّر بشكلٍ وبآخر بالنظم السياسية التي تحكمنا.. كلّ تلك المصادر هي مصادرُ لخدشِ الفطرة السليمة وتحويلها إلى خميرةٍ عفنةٍ للأفكار البغيضة والقناعات الخاطئة والسلوك المتطرّف.

سأروي هنا يوميّاتي ويوميّات نساء عديدات.

مفردات حياة امرأة لا اسم لها ولا عنوان ولا ملامح.. يمكن أن تكون أيّ امرأة تنتمي إلى هذه الأمّة وتعيش في بقعة ما على هذه الأرض.

سأروي بعض حكايا، ليست من نسج الخيال.. هي مصاديق لخدش الفطرة السليمة، هي مصاديق لنفوذ السلطة البَدْوِيّة التي جاء الإسلام للقضاء عليها.. فإذا بها تعود أشدّ قساوةً وأقبحَ وجهاً.

ما ستقرأونه هنا، قصصٌ حقيقيّة لوجع إنسانيٍّ مستمرّ.

سأتحدّث عن قناعات خاطئة أنتجتها أفكارٌ استمدّت قوّتها بقراءة خاطئة من شرع الله، وسُنّة رسوله (وكلاهما براءٌ منها)..

سأعرض صورة لواقع حال النساء المسلمات اللواتي تُضطهد حقوقهن باسم الإسلام، وتُصادر حريّاتهن باسم الشرع.. ويعشن أسيرات السلطة الذكوريّة والعرف العشائري وتقاليد البداوة باسم الإسلام. كنت أنا واحدةً منهن، تمّت مصادرة غالبية حقوقي باسم الدين، ولأنّ الله يريد ذلك، حتى قرأت كتاب: (تأملات إسلامية حول المرأة) للسيد محمد حسين فضل الله رضي الله عنه، وكان ذلك في مطلع التسعينيات وأنا في منتصف العقد الثاني من عمري.. حينها فقط أدركت أنّ الله يحبّني.. ويحبّ النساء كلَّهن، وأنّه لم يظلمنا، ولم يميّز بين الرجل والمرأة في نظام الكون والحياة، بل أعطى لكلّ واحد منهما حقَّه ودوره.. ولكن موازين القوى الاجتماعية هي التي سلبت حقَّ المرأة وجعلتها تابعاً ومملوكاً للرجل، يسنّ لها القوانين ويفسّر لها القرآن، ويروي لها الحديث ويحدّد لها الحلال والحرام، ويقولبها فيما يشاء من قوالب.

كان للسيد محمد حسين فضل الله رضي الله عنه، الفضل الأكبر في فهمي للدين بعمق ووضوح، ومن ثَمَّ فهمي لذاتي كامرأة ومعرفتي بحقوقي وتشخيص دوري في الحياة.. وكلّ هذا لم يكن سهلاً، هو من جعلني أفتخر بأنّي امرأة مسلمة.

كما جعلني أدفع ضريبة هذا الفهم وهذا الوعي كثيراً، سواء في حياتي الخاصة أو العامة، وبدأت أدرك مقولة: (إنّ الإسلام

غريب، فطوبى للغرباء)، بعد أن جعلني ذلك الفهمُ وذلك الوعيُ غريبةً بين أهلي وأقراني.. وكلّما توغل العمر فيّ وشاخ الزمن في أيّامي كلّما تعاظمت تلك الغربة وارتفعت ضريبةُ ذلك الوعي.

فهناك ضريبةٌ يدفعها المسلم الواعي في هذا الزمن، وهناك ضريبةٌ ثانية تدفعها المرأة (لكونها امرأة) في هذا المجتمع، فكيف إذ كانت امرأة واعية؟!! يمكنكم أن تتصوّروا حجم الضريبة حينها.

وهذا الكتاب هو محاولة لتعميق الوعي بحقيقة دور المرأة في الحياة وحقوقها التي منحتها السماء لها لكونها (إنساناً) و(خليفةً لله) وكيف تمّت مصادرة كلِّ ذلك لأجل تعميق سلطة ونفوذ الرجل في المجتمع.

جزئيّات تفصيلية بسيطة في حياة النساء.. ولكنّها صنعت أجيالاً لا تعرف حقوقها ولا تفهم جيداً دورها وأهميّة ممارسة ذلك الدور في الحياة.

شاكرةً للسيد شفيق الموسوي رعايته الكريمة وتشجيعه لي لإكمال هذا المنجز المعرفي، ممتنة له وللمركز الإسلامي الثقافي في بيروت دعمهم المتواصل للوعي والمعرفة وتأصيل الدين الحقيقي في مفردات الحياة للنّاس كافةً.

علياء الأنصاري
بابل ـ العراق
٢٠١٦/٩/٥ م

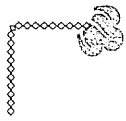

(١)

حبة حمص

الأشياء عندما تُترك ولا تُستخدم، تصدأ.. والحبُّ كذلك.

عندما كنا صغاراً، حفّظونا في المدارس هذا الحديث: «**لا يؤمن أحدُكم حتّى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه**»، ولكنّهم لم يعلّمونا كيف نجسّده على أرض الواقع.

فالحبُّ هو ديناميكية الحياة الحقيقية الواعية التي تنتج لنا الأمل والخير والفضيلة والبناء والعمل وكلّ مفردات العيش الإيجابية، الحبُّ الذي يجعلنا نتواصل مع الآخرين بأحسن الطرق ﴿**وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ**﴾[آل عمران: ١٥٩] لم يكن رسول الله فظّاً، لأنّ الحبّ الذي يسكن قلبه لم يجعله غليظاً.. ولذلك أحبّه الناس سواء آمنوا به نبيّاً أم لم يؤمنوا.

الحبُّ الذي يجعل تواصلنا مع الآخر، مدعاةً لبناء الثقة معه، وبالتالي الاطمئنان به ومنه.

الحبُّ الذي يجعل الناسَ يتكافلون بينهم اجتماعياً واقتصادياً، ويتوادّون ويتراحمون ويسامح أحدُهم الآخرَ ويعفو

عنه.. ويواسيه في أهله وماله.

لذلك عندما سُئل الإمام الصادق عليه السلام عن ماهية الدين قال: «**وهل الدين إلا الحبّ**»؟

قرأت هذا الحديث وأنا في الثلاثين من عمري، وعندها فقط فهمت ماذا كان ذلك الحديث الذي علّمونا إياه في الصِّغَر.

وشعرت بالدهشة حينها، ألم يخبرونا بأنّ الحُبَّ حرام؟!

كنّا نخشى استخدام (مفردة الحبّ) في خطاباتنا أو محاضراتنا أو أحاديثنا مع الآخرين.. لأنّ الحُبَّ حرام..

هذا الإحساس العظيم، اختزلناه بفهمٍ ضيّق جداً لعلاقة خاصّة جداً بين امرأة ورجل فقط.

وبذلك اختزلنا الكونَ في حبّة حِمَّص.

ولذلك تخشى النساء عادةً استخدام كلمة (الحُبّ) في كلماتهنّ وأحاديثهنّ، وعندما كتبتُ ذاتَ يوم مقالةً عنوانها (لأنّي أُحبّك)، رفض الكثيرون قراءتها.. واتهمني البعض بأنّي (فَسِقْتُ)، فيما قال آخرون: هذا ما جنيناه من ثقافة الغرب.. أصبح الحديث هكذا علناً.

ولأنّ عقولهم بحجم حبّة الحِمَّص، كما مشاعرهم.. اكتفوا بالعنوان ولم يقرأوا المقال.

ولكنّي أعلم يقيناً بأنّ صاحبه قد قرأه، أعني من كتبتُ عبارتي لأجله.

كان «**رسول الله**»...

(٢)

المرأة وما تملك

تشكّل بعضُ الذكريات في مناطق الشعور الباطني لدى الإنسان، مكامنَ وجعٍ تثير الشجون كلّما قاده الشوق إليها!!

ومن تلك الذكريات، هزّةُ الأم لمهد رضيعها وهي تغنّي: (دللو يمة دللو) حالمةً بيوم يكبُرُ فيه وتكبُر معه ثمرةُ العُمر، فتكون عندها (دللو يمة دللو) ذكرى تداعبُ الخيالَ المتعبَ كلّما رأته يختالُ بمشيته بين أقرانِه!

تلك اللحظاتُ هي أغلى ما تملكه الأُم عندما يشيخ الزمنُ فيها، وتركنُها ضوضاءُ الحياةِ وضجيجُها إلى زاوية مغلّفةٍ بالنسيان، لتتمنّى عندها لو أنَّ عجلة الزمن قد توقفت عند هزّة المهد وعند غنوة (دللو يمة دللو) ليبقى صغيرها صغيراً، وليبقى الحلم حُلُماً!!

فيا تُرى لماذا؟

لماذا عندما يشيخ الزمنُ في الواحد فينا، يصبح كمّاً مهملاً يحتار الآخرون أين يضعونه؟!

ففي ذلك الصباح عندما مدّت تلك المرأة العجوز يدَها

النحيلـةَ المتخشّـبةَ طالبـةً المسـاعدة للصعود إلى سـيارة النقل (KIA) التي اسـتقلّها كلّ يوم للذهاب إلى جامعتي لتجلس إلى جـواري وهي تهمس: (هاية عيشـة؟!)، أدركتُ كيف يمكن أن يصبح أو تصبح الواحدة فينا كمّاً مهملاً.

اسـتقرّت الأمُّ الكبيـرة فـي مكانهـا، والزمـن يحفـر أخاديده فـي وجهها الحزين المطـلّ على العالم الآخر مـن خلال عينين أثقـل الحزن نظراتهمـا، وافترشَ اليـأسُ منافذَ العبـور إليهما!! وقبـل أن تصل السـيارة إلى مقصدها، همسـتْ في أُذن الجالس أمامهـا، فأدركتُ أنَّ المرأة لا تملك أجـرة ركوبها، فدنوتُ منها هامسـةً: هل من مسـاعدة؟ فإذا بوابلَ من الدمـعِ المتحجّر قهراً خلف أسـوار العينين الحزينتين ينهمر وهي تقولَ: أعطتني ابنتي ثلاثة الآف دينار (ما يوازي دولارين) وقالت لي اذهبي للزيارة! (لزيارة الحسين عليه السلام) لا أدري أين سقطت مني النقود؟!

كفكفـت دمعها وأجابتني عن جملة أسـئلتي التي حاصرتْها: زوجـات أبنائـي لا يريدونني معهم، أسـكن عند ابنتـي الصغيرة في الحِلّة أسـبوعاً، وعند الأخرى في النجف أسـبوعاً آخر، آخر عمري أعيش مع النسيب (الصهر)!!

سألتُها: أليس لك بيتٌ مستقلٌّ؟ ألم يترك لك أبوهم شيئاً؟!

أجابتني: كان لي بيتٌ ورثته من أبي، كان ثريّاً، وعندما مات، كلُّ واحد منا أنا وأخوتي ورثنا عنه بيتاً، ولكنّ أباهم رحمه الله طلب مني أن أكتب البيت باسـمه، لذلك عندما مات، قام الأولاد ببيع البيت وتقسـيم الإرث بينهم، وقسّموني أنا أيضاً بينهم، كلّ شهر

في بيت أحدهم حتى تعبتْ زوجاتُهم مني.

تساءلتُ وإن كنت أنبش في جراح الأم المسكينة: ولماذا كتبتِ البيتَ باسم زوجك وهو إرثُك من أبيكِ؟

كفكفت دمعها وهي تقول بزهو: قال لي بأن رسول الله يقول: (المرأة وما تملك مُلْكُ زوجها)، فكلُّ ما أملك هو له، وأنا كتبت البيت باسمه «طاعة» لرسول الله!!

كنت أتمنّى لو أنّ لي قدرةً لإعادة الزمن.. حتى أتمكّن من تقريع ذلك الرجل، الذي سرق حقَّ هذه المرأة ودمّرها وأضاع استقرار حياتها في كِبَر سنّها، «باسم» رسول الله.

يا ترى كم امرأة صادروا حقوقها باسم الله، وافتروا على رسوله كذباً وبهتاناً.

عذراً أيّتُها الأمُّ الصابرة، عذراً نيابة عن رسول الله.

❊❊❊

(٣)

الكفن الأبيض

(مثلما دخلتِ إلى بيتك بالثوب الأبيض، تخرجين منه بالكفن الأبيض).

عبارة ما برحت كلُّ أم تهمس بها في أذن ابنتها ليلة الزفاف، وتحمل الفتاة تلك العبارة كقرط يرافقها العمر كلَّه، وفيما إذا صادف ورمت بالقرط أرضاً لتعلن رفضها لما يدور، فسرعان ما ستصبح (سليطة لسان) أو (متهورة) أو (امرأة غير صالحة).

لذلك عندما عادت أختي إلى بيتنا بعد شهرين من زواجها لسوء خُلُق زوجها معها، نهرتها أمي مستخدمة ذات العبارة الخالدة: (دخلتِ بالأبيض تخرجين بالأبيض)، صرختْ فيها أختي: إنّه يضربني! تململت أمي وأعادت إليها صرختها بأقوى منها: وماذا يعني؟ كلّنا ضُربنا.. لا توجد امرأة لم تُضرب.. هل كلُّ امرأة تُضرب، تترُك بيتَها؟!

لم أتمالك نفسي، فتداخلت بينهما قائلة: وهل كلُّ امرأة تُضرب يجب أن تسكت؟!

تحوّلت أمي إلى قتالي قائلة: اصمتي أنتِ.. !

ولأوّل مرة أشعر بالخذلان.. أشعرُ بأنّ أمي خذلتنا، أنا وأختي وربما كلّ النساء.

قلتُ لها بوَهْن: ولماذا يا أمّي أصمت؟ كيف تطلبين من ابنتك أن تصبر على الذلّ والهوان.. كان من الأجدر بكم أن تطلبوا منه هو أن يكفّ عن الإساءة، أن تخيّروه بين أن يحترمها أو يتركها.

نظرت إليّ أمي طويلاً وقالت: وهو سيفعل ما نطلبه منه؟ الأمر بهذه السهولة؟!

قلت لها مدافعة عن أختي وملايين الفتيات أمثالها: ليكن الأمر صعباً.. ولكن يجب أن يفعل أحدهم ذلك، يجب أن تكون لكرامة المرأة مكانة عندكم.. كيف تأمرينها بالصبر على الذلّ؟!

أمّي وهي تحسم الأمر معلنةً عدم جدوى النقاش: اللهُ أمرنا بالصّبر والتحمّل، فالمرأة خُلقت لبيتها وزوجها.. وكلّ ما عدا ذلك لا قيمة له، لا توجد كرامة بين المرأة وزوجها.

عادت أختي إلى بيتها بعد أن جاء زوجها مساءً وأخذها بعد أن اتصلت به أمّي.

عادت منكسرة الجناح، فمن كانت تظنّه سنداً ومعيناً لها، أُسْرَتَها التي نشأت فيها وحُضْن أمها الذي طالما استشعرت الدفء في حناياه، يرفضها الآن ويعدُّها غريبة عنه، فلا حول ولا قوة لها إلا بالاستسلام لواقعها المرير، فما الضير لو ضُربت مرة أخرى أو أُهينت فكلُّ النساء يُضربن ويُشتمن!!

والأهم من ذلك، أنّهنَّ يُضْرَبن باسم الله، لأنّ الله أمر بذلك

حسب ادّعائهم.

أمر الرجلَ أن يضرب زوجته لإصلاحها.

ولكنّي أتساءل: مَن يضرب الرجلَ لإصلاحه؟

أم يا ترى هو صالح بذات وجوده؟!!

***

(٤)

الخنوع زينةُ النساء

خائفةً كنتُ.. ولم أكن أعرف ما هو الخوف.

كان هذا الإحساس يضغط عليّ بأنيابه القاسية كلّما رأيته.. كان جسدي يرتعد، ولم أكن أعرف أنّ ذلك يُسمّى (خوفاً).

لم أكن أبلغ من العمر سوى ٩ سنوات..

وكان خالي يكبرني بعشر سنوات، يرتاد بيتنا بين حين وآخر، كان أصغرَ إخوة أمي، وكانت تحبّه كثيراً.. تحتفظ له بأطيب الأكلات، وتحرص على أن تقدّم له أشهى الفواكه حتى وإن حرمتنا أنا وأخواتي منها.

لم أكن أحبّه.. كنت أخافه.

فكلّما كان يأتي إلينا، كان يختلي بي كلّما سنحت له الفرصة، وتمتدّ يده إلى جسدي الصغير، تعبث به.. فيدبُّ الخَدَرُ فيه، ولا أعرف كيف يمكنني أن أتخلّص منه.. وعندما يبتعد عني، أشعر بالغثيان.. ولكن لم أتجرّأ يوماً على أن أُخبر أحداً بذلك.

لم أعدْ أتذكّر كيف بدأ يفعل ذلك معي، ولكنّي أتذكّر بأنّه استمرّ حتى بلغت الثانية عشرة من عمري.. حتى مات خالي في

حادثة سيارة مسرعة أحالت جسده إلى أشلاء كما أحالت بيت جدتي وبيتنا إلى فوضى حزن وعزاء.

لم أحزن.. ولم أفرح، لم أشعر بأيِّ شيء.. جسدي فقط، أعلن حريته: تكسّرت قيود خوفه، لم يعدْ يرتعد.. لم يعدْ يخشى حضور خالي، لم يعد يكره صمته وخنوعه.

عندما كبِرْتُ، وأدركتُ ما كان يفعله خالي معي.. أيقنت بأنّ الأنثى غالباً ما تُقهر.. وليس ما يُقهرها جسدُها الذي يُستباح بسهولة، بل خوفُها.

ذلك الخوف الذي منعني أن أصفع خالي.. أو أركله، أو أصرخ في وجهه.. أو أُخبِرَ أمي.

يا ترى لماذا تخاف الأنثى دوماً.. حتى وإن كانت هي الضحية؟!

لماذا نخاف، حتى وإن كنّا بريئات؟!

لماذا نخاف.. حتى قبل أن نجرّب (دفع ثمن) الشجاعة؟!

وكلّما توغّلت في الزمن، وشاخت الأيام فيّ.. أدركتُ أنّ الرجال لا يحبّون الشجاعة في النساء، لذلك غالباً ما يصنّفون الشجاعة للذكور، ويقنعوننا بأنَّ (الخنوع)، زينة النساء.

***

(٥)

الملائكة من جنس الرجال

لأوّل مرة، أرى امرأة في مخاضها.

كانت تستهويني قصة مريم عليها السلام عندما أقرأها: ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ..﴾[مريم: ٢٣]، وأتساءل: ماذا كانت تعاني مريم حينها؟! وكيف لها أن تقاوم وحدها كلّ تلك الآلام؟!

اليوم، كانت أختي تعاني نوبات الطَّلْق بشدّة.. وأمي تمدّها العون: (تحمّلي، اصبري).. وكانت المسكينة تتحمّل صابرة.. وعندما اشتدّت نوبات طلقها وأخذت تملأ البيت بصراخها، أسرعت أمي للاتّصال بزوجها ليأخذها إلى المشفى.

كنت حينها في الثامنة عشرة من عمري، ولأنّي كنت فضولية لأعرف مدى معاناة المرأة في المخاض، أصررت على أمي أن أذهب معهم، فوافقت على مضض باعتبار أنّي مازلت فتاة صغيرة.

أدخلوا أختي إلى غرفة الولادة.. جلس زوجها قلقاً على مقعد خشبيّ ينتظر، وكانت أمي تذرع الممشى ذهاباً وأياباً

تحفره قلقاً وخوفاً.. فيما كنت أنزوي في ركن أتابع ما يجري بقلق أيضاً.. رأيت أمّي تقترب من زوج أختي وتقول له: (هنيئاً لك.. الملائكة الآن ترفرف بأجنحتها لك لتبرّد قلبك)!!!

استغربت، لماذا الملائكة ترفرف بأجنحتها عليه؟!

ما علاقته هو بالأمر؟

أختي، هي مَنْ تُصارع الموتَ الآن، لتلد الحياة.

هي مَنْ تكابد وتتألّم وتتوجّع لتأتي له بابنٍ يحمل اسمه، وهو جالس على المقعد لا يفعل شيئاً سوى الانتظار.. انتظار لحظة يحمل وليده بين ذراعيه ويستقبل تهاني الأهل والمحبّين.

هو لم يفعلْ شيئاً، فلماذا تهتمّ الملائكة لشأنه؟ أما كان الأجدر بها أن ترفرف على أختي المسكينة؟!

بعد أيام سألت أمي: يا تُرى لماذا ترفرف الملائكة بأجنحتها على الرجل وهو جالس لا يفعل شيئاً، في حين أنّ المرأة تحمل تسعة أشهر وتعاني الكثير في سبيل ذلك ثم تأتي ساعات المخاض التي تقرّبها من الموت، لماذا لا ترفرف الملائكة عليها هي؟ ألا تستحق ذلك؟

نظرتْ إليّ أمي بعصبية وقالت: ويلك هذا حديث عن رسول الله، هل تعترضين عليه؟

فتحت عينيَّ دَهِشةً: أنا لا أعترض، أنا أتساءل.. ولا أعتقد أنّ رسول الله قد قال هذا الحديث، لأنّ فيه ظلماً وعدم إنصاف.

ضربت أمي بكّفها على صدرها وقالت: ويحك.. أتعترضين

على أمر الله؟! المرأة واجبها أن تحمل وتلد..

ابتعدتُ عنها.. لم أشأ أن استمرّ في حديثٍ عقيم.. ولكنّي كنت متيقّنة بأنّ الله أعدل من أن يُرسل ملائكته ترفرف بأجنحتها على الرجل وتترك زوجته المسكينة تسحقها الآلام دون أن تعينها برفرفة جناح أو خفقة حنان.

الملائكةُ ترفرف لمن يصنع الحياة..

وترنو بحنانٍ لمن يتعب ويصبر ويجاهد..

هناك تضليلٌ إعلامي بحقّ الملائكة وتشويه لسمعتها.

(٦)

السجود لغير الله

كان الشيخ يعلو صوته كلّما أراد أن يؤكّد على أنَّ أساس وجود المرأة هو خدمةُ الرجلِ والسّعي لرضاه.. وأنّها في حقيقة وجود المرأة مملوكٌ تابعٌ وخاصٌّ للرَّجل، ولا قيمة لها إلّا بمقدار رضا زوجِها عليها، أو رضا الرجلِ الوليِّ عليها سواء كان أباً أو أخاً أو زوجاً.

وختم خُطبته تلك، بمقولة عن رسول الله ﷺ: «لو أَمرتُ أحداً أن يسجد لغير الله لأَمرتُ المرأةَ أن تسجد لزوجها».

وحينها، التفتت أمي إلى أختي المسكينة التي هربت من بيتها جزعاً من طغيان زوجها وقالت: هل سمعتِ؟! ما كان الأجدرُ بك أن تتركي بيتك!!

انهمرت دموع أختي، فيما غَلَت الدّماءُ في عروقي، أجبتُها نيابةً عن تلك المسكينة: كيف تطلبين منها أن تبقى مع رجلٍ لا يحترمها ولا يقدّرها ولم يُسمعها كلمةً حانيةً طوال خمس سنين، أنجبت له ولدين مثل القمر.. تركتْ عملَها لأنّه لا يريدها أن تكون خارج المنزل.. صبرت واحتملت، نفد صبرُها ولم تَعُدْ تقوى على الاحتمال.. هل هذا كل ما تستطيعين أن تفعليه لأجلها؟!

غضبت أمي، تجمّد الدم في وجنتيها فأصبحت كالفراولة الناضجة وهي تصرخ فيّ: وَيْلكِ.. ستخربين بيتَ أختِك.. أما سمعتِ ما قاله رسولُ الله؟! هل تفهمين أنتِ أكثرَ منه؟ على المرأة أن تصبر وتتحمّل.. الرسول يطلب منها أن تسجد لزوجها، عليها أن تفعل ذلك وإلا كانت امرأة غيرَ صالحة.. خالفت أمرَ اللهِ ورسولهِ.

لم أكن أرغب بأن أؤذي أمي، فهي امرأة مسكينة كغيرها من ملايين النساء اللواتي تمّ غسلُ دماغهنّ بهذه الأحاديث لاستضعافهنّ باسم الله ورسوله. نهضتُ من أمامها لآتيها بكوب ماء تطفىء به غضبها، فقالت لأختي المصرّة على هطل وابل دمعها بصمت: اسمعي يا فتاتي.. المرأة الصالحة لا تترك بيتها، خروجُكِ من البيت لا يرضي اللهَ ولا رسولَه.

عدتُ إليها بكوب الماء، ابتسمتُ لها وأنا أعطيه إياها: أمي.. أين كنت جالسة بالضبط عندما قال رسول الله هذا الحديث؟ في أيِّ ركن من المسجد؟!

نظرت إليَّ مستغربة، أخذتْ كوبَ الماء وشربَتْه ثمّ قالت: أتسخرين مني؟!

قبّلتها وأنا أقول: استغفرُ الله أن أفعل ذلك.. ولكن ما هو مصدرُك؟ ألا يُفترض أن تكون مصادرنا علميّة ومنطقيّة.. مصدرنا القرآن، والقرآن لا يَرضى بالظُّلم.. أعطيني آيةً يؤكّد فيها الله على أنّ من حقّ أحدٍ أن يظلم شخصاً آخر.. لم يعطِ اللهُ أحداً سلطة ظلم، فكيف يظلم الرجل زوجته بموافقة ومباركة الله؟!

هل سمعتِ يوماً أنّ رسول الله، ظَلَم واحدة من زوجاته، فكيف يشجّع الرجلَ على أن يفعل ذلك؟!

ولماذا علينا نحن النساء أن نسجد للرجال.. بأيِّ ميزة كان ذلك الاستحقاق؟!

أعادت إليّ أمي كوب الماء فارغاً وهي تقول: ستبقين عانساً طوال حياتك وأنت تحملين هذه الأفكار؟!

تركتهما إلى غرفتي وأنا أتساءل: أيّهما أفضل أن أبقى عانساً أو أكون عَبْدَةً جاريةً لرجلٍ عليَّ أن أسجد له مهما فعل بي؟!

وشعرتُ حينها، بأنّنا قُطّاع طرق في طريق الله..

نسلبُ من النّاس كلّ ما يحملونه من بضائعِ الحبِّ إليه.

وأفضّلُ أن أكون عانساً على أن أكون قاطعةَ طريقِ الله.

***

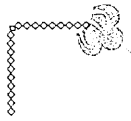

أبراج

مـن خلال منظومـة الموروثات التـي أدارت العجلة الفكريّة والحضاريّـة لمجتمعاتنـا، تبلـورت شـخصيّة الأفـراد في تلك المجتمعات وخاصّة شـخصيّة المـرأة. فنراها تهرب من عالمها المفخّـخ بالرُّعـب والعنف علـى مختلف مسـتوياته ابتـداءً من التمييـز بينهـا وبيـن أخيها في الأسـرة ومـروراً بنظـرةِ المجتمع لتنتهي إلى أحضان الزوجيّة القائمة على سيادة الرجل وعبوديّته المتأصّلة في ثقافة السـلوك البشـريّ لمجتمعاتنا، إلى عالم آخر ساحر يمنحها الأملَ المفقود على أرض الواقع.

ومـن مفـردات ذلك العالَـم السّـاحر، الأبراجُ ومـا يدور في فلكها، قـراءةُ الفنجان، التردّد على السَّـاحرات (السَّـحارات)، البحث عن أيٍّ منقذ يقدّم لها حلولاً سـهلة وسـريعة لمشـاكلها وأحلامها دون أدنى مشقّة أو عناء.

فالأم التي تواجه مشاكل مع الكنّة ـ مثلاً ـ، تيمّم وجهها شطر (الفتّاح فال) أو (السّـحارة) لتقدّم لها وصفة جاهزة للمشـكلة، ولـو فكّـرت قليـلاً لوجدتْ بـأنّ قليـلاً مـن المحبّة والتّسـاهل وأحيانـاً غضّ النّظر عن هفوات الآخرين كفيـلٌ بأن تأتي بكنّتها إلى الطاعة.

والزوجة التي فشلت في كسب قلب زوجها بقليل من المحبّة والتودّد والتواضع وكثيرٍ من الصبر أو كسب ودّ أمّ زوجها بشيءٍ من الخُلُق الحَسَن والقلب الصافي، وفي محاولة لرفضها الاعتراف بهذا الفشل تلجأ إلى (السّحارة) لتعطيها وصفةً أو شُرْبةً لكي يحبّها زوجها ويصبحَ قيساً في ليلة وضحاها.

وفي لحظات عجزٍ أو يأس تمرُّ بها المرأة، تحاول أن تبحث لها عن خلاص، فلا تجد سوى الأبراج أو الفنجان أو قراءة الطالع في محاولة لإعادة ما بعثره الزمن من أمل مقطّع الأوصال.

ولهذا ولغيره، اقترنت مفردات ذلك العالَم السّاحرِ بالمرأة، وسعى الجميع إلى ترسيخه كحقيقة ترادفُ حقيقةَ المرأة.

ويبقى السؤال المطروح: كيف ننهض بواقع بعض نسائِنا وهُنَّ لا يقرأنَ من الصحف غيرَ عمود الأبراج؟

أخبرني أحد المشرفين على جناح للمبيعات في أحد معارض الكتب التي أُقيمت مؤخّراً في محافظة بابل (الحلّة في العراق) أنّ نسبة الروّاد للمعرض من النساء قليلةٌ جداً، بل تكاد تكون معدومةً في بعض الأيام، ومن هذه القلّة القليلة التي جاءت تطلب الكتاب كُنّ يبحثن عن كتب تفسير الأحلام وكتبِ الأبراج والطبخِ وكتبِ الأعشابِ الطبيّة، ومن المفارقات التي حدثت في المعرض ونقلها لي ذلك المشرف أن أستاذة جامعية برفقة زميلتها كانت تتصفّح بعض الكتب حتى وصلت يدها إلى كتاب (المرأة بين فاعلية التأريخ وجمود الحاضر) وعندما

قرأت اسم المؤلفة ورأت صورتها أعادته إلى مكانه متضجّرة دون أن تتصفّحه وترى ما فيه وهي تقول لصاحبتها: اتركي هذا إنّه لامرأة!!

وقد علّق زميلي المشرف بعد أن أنهى حكايته قائلاً: أنتنّ النساء لا تحببن بعضكن البعض!!

عجزتُ عن إجابته، يا تُرى لماذا؟!

***

(٨)

ما هو المهم؟!

أشعرُ بالغثيان كلّما سمعتُ أحدهم يتحدّث عن حقوق المرأة وأنا أعرفه حقّ المعرفة بأنّه أكثرُ الرّجال انتهاكاً لها؟!

يا تُرى لماذا يحبُّ الرجل أن يتظاهر بأنّه مناصر لحقوق المرأة في حين أنّ زوجته وابنته وأخته يعانين من استبداده وقسوته؟!

هذه إحدى الإشكاليات العقيمة في شخصية الرجل العربي، وقضيّة حقوق المرأة من أعقد الجدليات التي شغلت حيّزاً كبيراً من الفضاء الفكريّ والجدليّ الذي يحيط بنا، لننغمس في لُزُوجة ذلك الجدل فتضيع منّا الفكرة الأساس.

ولكثرة ما يؤرقني هذا الموضوع، أعددتُ ذاتَ يوم ورقةَ عملٍ مصغّرة قدّمتُها في إحدى الندوات التي حضرتها شخصيّات رسميّة واجتماعيّة من الرجال والنساء.. والتي صفّق الجميع فيها تحية لي بعد انتهائي من قراءتها..

وفي ذات اليوم، طلب منّي أبي أن لا أفعل ما فعلته هذا المساء.. أن لا أرتكب جرماً شنيعاً كذلك الذي فعلته اليوم، فقد اتّصل به أحدُ الحاضرين ممّن أثنى على شجاعتي وورقتي

وأخبره بـأنَّ من الأفضل لابنته ألاّ تتطرّق إلى مواضيع حسّاسـة تخدش المنظومة القيميّة للمجتمع.

لم أشـأ أن أدخل في نقـاش مع أبي، ولـم أعلّـق على ما قاله، عدتُ إلى غرفتي..

كان من المفترض أن أرتمي على وسادتي وأبكي كما يحدث مع كلِّ فتاة، وكما نراه في الأفلام والمسلسلات، ولكنْ لم أفعل، لأنّي لم أشـعر بالضعف، بل أدركتُ أنّي قويّة وأنّي استطعت أن أُوصل رسالتي إلى الرِّجال وأوّلهم ذلك الذي اتّصل بأبي.

ولأنّي فخورة بنفسي، سأخبرُكم بما قلته تلك الأمسية، نكايةً بذلك الرجل الذي أراد أن يكمّم فاهي:

(يا ترى ما هو السببُ فيما وصلت إليه المرأة في باب الحقوق كإنسـان، هل هو الرجل الذي صادر حقوقها واستعبدها وأصّل دونيّتهـا في المـوروث الاجتماعـي والفكريّ والدينـيّ لتصبح جزءاً من حقائق البشر ومسلَّماتهم، أمِ المرأة هي المسؤولة عمّا حدث لها؟

أعتقـد أنَّ هذه الجدلية أصعبُ من جدليّة الدجاجة والبيضة؟ لأنَّ موضوعهـا أعمـق مـن مجـرّد تحديـدِ البَـدء فـي الخِلقـة، موضوعها الذاتُ الإنسـانية وما عانت خلال مسـيرة البشرية في التأريخِ الإنسـاني منذ أول إنسـان على وجهِ الأرض وإلى يومنا هذا.

فـإذا كان الرجل هو المسـؤول عن هضم حقـوقِ المرأة وما سـبّبه ذلك من عُسْـرٍ في الجهاز الهضمي للمجتمع، فأين تكمُنُ

إرادة المرأة؟

وإذا كانت المعرفةُ والتعلّم هما الحجرَ الأساسَ في تكوينِ الشخصية، فهل نتوقّعُ من المرأة غيرِ المتعلّمة وغيرِ الواعية أن تكون لها إرادة؟

وإذا كانت الإرادة نتاجَ المعرفةِ والعلم، فكيف وصلتْ نساءُ التأريخ على تباين عصوره إلى أدوارٍ عَجِز الرّجالُ عن الوصول إليها دون أن يتخرّجن من جامعات أو يشاركن في دورات؟

وإذا سلّمنا أنّ الرّجل هو المسؤول الأول والأخير عن ظلم المرأة وسلبها حقوقها، فهل حصل الرجل على حقوقه كمواطن وإنسان؟ وهل يمكن اعتباره المخلوقَ الأسعد؟

وهل مجرّد حصول المرأة على حقوقها السياسيّة والاجتماعيّة وممارستها لأدوارها المختلفة يمنحُها السعادةَ والكمالَ ويجعلُها قادرةً على التغيير والإنماء؟

فلماذا يشهد المجتمع أنماطاً من النساء المتعلّمات والحائزات على مناصبَ هامّة في مواقعهنّ الحياتية ولكنّهنّ عاجزاتٌ عن التأثير فيما يدور حولهنَّ من ظروف أو أحداث؟

ويا ترى لو حدث وتبادل الرجل والمرأة الأدوار ومراكز القوى فهل ستصادر المرأة حقوق الرجل وتهمّش دوره، أم تجعله نظيراً لها وشريكاً في بناء المجتمع؟

هل مشكلة المرأة في يومنا هذا تكمن في السلطة الذكورية للمجتمع، أم في فقدانها هويّتها واستسلامها للظلم ورضوخها

لما يدور حولها، وفي كثير من الأحيان الاستئناس لما يقع عليها من ظلم ومصادرة حرية وحقوق؟

هل تنتهي جدليّة مظلوميّة المرأة بحصولها على مقعد في برلمان أو حقيبة وزارية أو شهادة جامعية؟

هل يمكن أن نصل إلى مصافّ الأمم الكبرى عندما يصبح رئيس وزرائنا امرأة وإن كانت غير قادرة على اتّخاذ قرار في وزارتها أو بيتها؟

هل تكمن مشاكل المرأة العربية والمسلمة في أنّ (صوتها عورة)، وأنّ (بيتها مسجدها)، وأنّ (لو أمرتُ أحداً أن يسجد لأحدٍ لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها)، أم تكمن في عجزها عن اتخاذ قراراتها المصيرية، وعن عدم تعلّمها وعدم فهمها لدينها وواقعها، وعدم نضجها لفهم دورها الحقيقي في الحياة؟!

هل أنّ دور الأمومة الذي يتحجّج به غالبيّة الرجال لمصادرة دور المرأة الاجتماعي وحبسها في البيت، هو عقدتها الكبرى، فتحاول بعض النساء أن تتخلّص من هذه العقدة لتصبح حرّة؟!

أم أنّ الفهم الخاطئ لهذا الدور، والضغوط القاسية التي تعيشها المرأة داخل بيتها، تجعلها تفكّر بأنّ الحرية في الخلاص من هذه القيود؟

كيف يمكن أن نجعل من المرأة العربية المسلمة، امرأة قوية وقائدة فاعلة في مجتمعها، وفرداً صالحاً قادراً على التغيير والمشاركة في صناعة الرقيّ الحضاري وفي الوقت نفسه، أُمّاً وزوجةً وربّة بيت عاملة لإسعاد زوجها وأسرتها؟!

ويعود السؤال: ما هو الشيء الهام في حياة المرأة؟!

وهل هذا السؤال يُوجَّه إليها، باعتبارها قادرة على تشخيص الأهم في حياتها، أم يُوجَّه إلى الرجل باعتباره هو الأقدر على تشخيص مصلحتها وتحديد مصيرها ورسم معالم وجودها؟!).

(٩)

مرارة

من أغرب ما صادفني في حياتي من مقولات: إنَّ المرأة سُمِّيت (مرأة) من المَرْمرة أي إنّها تمرمر الرجل!! وسُمِّيَ الرّجل (رجلاً) لأنّه يسعى برجليه ليكسبَ رزقَه ورزقَ عياله!!

قالها أستاذ اللغة العربية، يحملُ شهادة الدكتوراه ويدرّس في كلية الآداب، أستاذي في المرحلة الأولى من دراستي الجامعية..

وبَقِيَتْ تلك العبارةُ في ذاكرتي، مصلوبةً من وجعها!

لماذا هذا الاحتقار لنا حتى في دلالات الكلمات؟!

وعندما تخرّجت، وبدأت العمل المجتمعي.. واطّلعت على أسرار الحياة في خفايا النّفوس البشرية سواء كانت ذكوريّة أم أنثوية، أدركت بطلانَ مقولة دكتور اللغة العربية وكلّ قواميس اللغة. لأنّ نساءنا اليوم هنّ اللواتي يركضن بأرجلهن وراء لقمة العيش لفقدهن المعيل أو لأنّ الوضع المادي للرجل في حياتها لا يكاد يكفي لمتطلبات الحياة دون أن تقف لتساعده وتعاضده، وفي الكثير من الحالات، يكون الرجل معتمداً اعتماداً كلّياً على

زوجته أو أخته أو حتى أمه في تأمين لقمة عيشه.. هكذا وجدتُ الحال على أرض الواقع بعيداً عن قواميس اللغة التي احترفها البلغاء.

فيا تُرى هل هناك ضرورة لتغيير اسم هذا المخلوق من رجلٍ إلى شيء آخر!!

ولماذا نصرّ ـ دوماً ـ على الاستخفاف بالمرأة والتقليل من شأنها إلى الدرجة التي وصلنا فيها حتى إلى التسمية؟!

أعتقد أنَّ هناك عقدة نفسية مجتمعية، تحتاج إلى تفكيك.

❊❊❊

(١٠)

الحبُّ... والحياة

في اللحظة التي لوى الزمن فيها عنقَ الحُلُم الصغير المتستّر بأهـداب ليلنا الطويـل، نَمَتْ في حديقة عمرنا أشـجار الصنوبر وغادرتنا طيورُ الحبّ إلى غير رجعة.

لستُ متشائمة ولا أحبّ أن أكون كذلك يوماً ما. ولكن طيور الحـبّ غادرتنا إلى مَنْ يفهمها أكثر منا، ويقدّر وجودها أكثر منّا لأنّه يفهم معنى الحبّ أعمق ممّا نفهم نحن.

وبذلك تحوّلنا إلـى أناسٍ نحترم مَنْ لا نحبّه لأنّنا نخافه. ولا نبالي لمَنْ نحبّ لأنّنا لا نحترمه فهو لا يُخيفنا.

نتزوّج بمن لا نحبّ لكنّنا نسـتمرّ في العيش معه. ونعيش مع مَنْ لا نحب لأنّه لا جدوى من الرفض أو التغيير.

نـدرس التخصّص الـذي لا نحبّ لأنّه محظـيٌّ في المجتمع أو مُـدِرٌّ للمال والجاه، ونـزاول المهنة التي لا نحبّ لأنّنا نخاف البطالة أو انتقاص الآخرين.

نعاشـر مَنْ لا نحبّ لأنّنـا نرفض الوحدة، ونقول بألسـنتنا ما ترفضـه قلوبنـا لأننا نريـد أن نعيـش. وبالتالي نعيـش لأنّنا نكره

الموت.

نحبّ أنفسنا فنقتل الغير... إلغاءً أو إقصاءً أو تشهيراً أو تصفية!!

نحبُّ الحياة، فنخطّط لسلطان يقوم على السيف والمال وخلود الجاه متجاهلين سُنن الكون والتاريخ غافلين عن مداولة الأيام.

ما يقلقني حقّاً، هل نحن قادرون على الحبّ فعلاً؟!

هل نتحرّك ضمن إطار الحبّ الجميل في لوحة الحياة، أم تشابكت علينا الرؤى ولم نعد نميّز بين الحبّ واللاحبّ؟!

هل الحبُّ مفردة حانية تجعلنا نستذوق طعم الحياة، أم هي بدعة كشعارات زمننا الخائب؟!

أليس الحبُّ هبةً إلهية لبني البشر، قلّدت السماءُ بها عُنُقَ الأرض لتضيء جمالاً وألقاً وتشعُّ دفئاً وعذوبةً؟!

ألم يكن الحبُّ هو رسالة الأنبياء ليجعلوا من أقوامهم ذوي القلوب المتنافرة والمصالح المتصارعة أمماً موحّدة يجمعهم الحبُّ ولا يفرّقهم الكُره؟!

ألم يُسَمِّ (بنو البشر) أناساً لأنّهم يستأنسون بعضهم ببعض؟!

الحبُّ في زمننا ـ كأشياءَ كثيرةٍ ـ محاصرٌ بالخوف والقلق والمصالح!! فمتى يُطلق سراحه؟!

❊❊❊

(١١)

لن يتقدّم لها أيُّ عريس

أيُّهما أولى، أن نبني علاقتنا مع الآخر على أساس الحبّ أم الخوف؟!

وخاصة إن كان هذا الآخر، هو شريك حياتنا.

أراقب دوماً، الفتيات والنساء من حولي.. أرى تقلّب أحوالهنّ، والكمّ الهائل من الخوف الذي يحاصرهنّ.. الخوف من كلِّ شيء، ومن أيِّ شيء.

في إحدى جلساتنا النسائية، كنتُ أستمع إليهنّ، أمّي وصديقاتها وأرحامنا.. كان مدار حديثهنّ الأزواج ومدى المشاكل التي تحدث معهم.. استطعتُ أن أجمع ما يقارب الـ(١٥٠) مرّة تكرار كلمة (أخاف).. منهنّ جميعاً. فقلت مخاطبة إياهن: أصغيتُ إليكن خلال ساعة كاملة من حديثكن، واستطعت أن أحصي مائة وخمسين مرة كلمة (أخاف).. أخاف أن يزعل، أخاف أن يغضب، أخاف أن يُخبر أمه، أخاف أن يضربني، أخاف أن لا يفهم قصدي.. لا أدري هل أنتن تعشن مع أزواجٍ وشركاء حياة، أم مع سجّانين وجلادين؟!

نهرتني أمي بنظرة من عينها، فيما قرصتني أختي الجالسةُ بالقرب مني، لم أبالِ لهما، تابعتُ: لماذا تخفنَ منهم؟!

ابتسمت في وجهي سيّدة في الخمسين من عمرها، ابنة خالة أمّي وكانت بمثابة حكيمة العائلة وقالت: العلاقة تشكّلت منذ الأزل على مفهوم الخوف، الرجل يحبّ المرأة التي تخافه.. وبالأحرى هو ليس خوفاً بمعنى الخوف الذي تفهمينه، هو نوع من الاحترام له، وسعي المرأة إلى عدم الخروج عن طاعته.. نسعى لكي يرضوا علينا.

أجابتها ابنتها نيابة عني قائلة: ولكن مهما سعيتنّ فلن يرضوا.. أو نادراً ما يرضوا.

نظرت إليها أمّها بانزعاج وهي تقول: ما يهمنا أن نسعى لرضاهم.

قلت لها: خالة، قبل قليل سمعت إحداكن تقول بأنّه مهما فعل بها أثناء النهار، ومهما آذاها وقد يصل الأمر إلى أن يضربها، ولكنّها تسعى إلى أن ترضيه ليلاً.. وأن تتودّد له حتّى يحكي معها.. لماذا؟! أليس من المفترض إن أساء إليها أن يعتذر هو، وأن يسعى هو إلى مرضاتها؟!

تدخّلت امرأة أخرى من صويحبات أمي قائلة تدافع عن مملكتها العتيدة: أنا لا أنام كل ليلة إلا بعد أن أسأله: هل أنت راضٍ عني؟

حدّقتُ فيها وأنا أتساءل: حتى وإن كان قد أساء لكِ، وآذاكِ وظلمكِ!!؟

أجابت بزهو: نعم.. حتى وإن.

باستنكار سألتها: ولماذا؟!

أجابت بثقة نفس عالية: ألم تسمعي قول رسول الله ﷺ: (إذا نامت المرأة ورجلها غاضب عليها تلعنها الملائكة حتى الصباح).

شعرتُ بالغثيان وأنا أستمع إلى هذه المرأة المسكينة، أخذتْ نظراتهن تنهش في لحمي، ويبدو أنّهنّ شعرن بالانتصار عليّ، فاعتدلتُ في جلستي وقلت: مَنْ هو هذا رسول الله؟! لا أعرفه.. أنا أعرف رسول الله محمد بن عبدالله، النبيّ الذي جاء بالرحمة والخُلُق الحسن.. الرسول الذي قال: «**أكرمكم أكرمكم لأهل بيته، وأنا أكرمكم لأهل بيتي**»، الرسول الذي قال: «**لم يُكرمها إلا كريم ولم يهنها إلا لئيم**».. عن أيِّ رسولِ الله تتحدّثنَ؟! ثم لماذا الملائكة تلعن المظلوم وتترك الظالم؟ على أيِّ أساس؟! لأنّه رجل ولأنّها امرأة؟! هل الملائكة تعمل بمعيار المجتمع الذكوريّ أم بمعايير السماء التي وضعها الله تعالى؟!

لماذا الملائكة تلعنني وأنا مظلومة، وأنا مهانة وأنا أنزف طوال النهار لأجل خدمته وخدمة بيته وأولاده وفي آخر الليل أقضي له حوائجه وأرضي غروره.. ثم تأتي الملائكة وتلعنني.. لماذا؟!

لماذا تلعن الملائكة النساء حمايةً ونصرةً للرجال.. والله أنشأ الكون كلَّه على العدل، وأقام الدين على العدل.. وبنى أساس مُلكه على العدل.. وأمرَ الناسَ بالعدل.

كيف يرضى اللهُ لملائكته أن تفعل ذلك؟!

أعتقد يا خالاتي وعماتي وسيداتي الفاضلات، أنّ الملائكة إذا لعنت المرأة فليس لأنّ زوجها غير راضٍ عنها.. بل لأنّها استخفّت بنفسها ورضيت لها الذلّ والمهانة.

الملائكة تلعنُ الضعفاءَ فقط، والخانعين.. والمستخفّين بحقوقهم.

عاودتِ المرأة الحكيمة تزجرني بنظراتها وهي تقول: ما كان الأجدر بك أن تعترضي على قول رسول الله.

نهضتُ وأنا أقول لهنّ: لم يقل رسول الله هذا القول أبداً.. هذا كذبٌ وبهتانٌ عليه.

غادرتهنّ وأنا عازمة على أن لا أجالسهنّ مرة أخرى.. فيما همست إحداهنّ بأذن أمي قائلة: فتاتُك تحتاج إلى تأديب.. لن يتقدّم لها أيُّ عريس وهي بهذه الوقاحة.

❊❊❊

(١٢)

كيف يمكن للفتيات الصغيرات حماية أنفسهن من زواج غير كفؤ؟!

عندما يملأ الرعب المساحة الممتدة بين الأمل واليأس، تضطر الواحدة فينا إلى (الانتحار) بالزواج من رجل غير كفؤ.

وهذا ما فعلته صديقتي الشابة ذات الثلاثة والعشرين عاماً، عندما طردها أخوها في منتصف الليل لتنام عند الجيران لأنّها قرّرت أخيراً أن تعلن رفضها بعدم إعطاء راتبها الشهري له بعد الآن.

صديقتي كغيرها من الخرّيجات العاطلات عن العمل التحقت بإحدى منظّمات المجتمع المدني المحلّية وتتقاضى راتباً شهرياً مقداره مائة وخمسون ألف دينارٍ عراقيٍّ (حوالي المئة والعشرين دولاراً) تقدّمه لأسرتها وتحتفظ بما يكفيها كأجور مواصلات!!

الأخ الأكبر التارك للدراسة والعاطل عن العمل أيضاً، يعتمد عليها وعلى أختها الأصغر العاملة في معمل خياطة لتغطية نفقاته اليومية من كارتات موبايل (تشريج هاتف) وسجائر ولهو

مـع أصحابه في ظلِّ دعم وحمايـة مُطْلَقة من الوالدة التي تقول: (ماذا أفعل له، ابني الكبير وأخاف منه لا يمكنني ردعه)!!

وعندما واجهتُ تلك الوالدة بالعتب آنذاك كيف اسـتطاعت أن تنـام وابنتهـا خارج البيت قالت لـي: (لا حيلة لي، لا يمكنني فعل شيء الأمر بيد ابني).

وفـي تلـك الفتـرة المشـحونة بالقهـر والرعـب بالنسـبة إلى صديقتـي التـي فقـدت كلّ مقوّمـات (المقاومـة)، ارتـأت الأم أن تزوّجهـا فـي محاولـة للخلاص مـن طغيـان الأخ وربما من مشـاكلهما، فقدّمتها إلى أول خاطب دون أن تتفحّص شخصيّته أو رجولته فما يهمّ هو أن تتزوّج ابنتها وتستر عليها.

والرجل الذي ظنّت الأم أنّه سيستر ابنتها، كان أوّل المنتهكين لحقوقها وإنسانيّتها فكان يضربها لأتفه الأسباب!!

وفي مسـاء اليوم نفسـه الذي جاءت في صباحه صديقتي إلى منـزل أبيها معلنة عدم اسـتطاعتها العيش مع هذا الرجل، عادت إليـه بنصيحـة من والدتها: (عـودي إلى بيت زوجـك ماذا يقول النـاس عنّـا؟ لا أسـتطيع تحمـل أخيـك الكبيـر؟ هذه قسـمتك ونصيبك وعليك الصبر)!!

صبرت المسـكينة عامـاً كاملاً وضعـت خلاله صبيـاً صغيراً ولكنّـه مريض، لتعود به بعد حين إلى بيت والدها مطلَّقة بعد أن فقدت عملها وكرامتها وشيئاً كبيراً من أنوثتها وإنسانيتها!!

وما زالت القصة مستمرّة مع أخيها ووالدتها وأقاويل الناس.

يا ترى كم من أمثال صديقتي يضمّ مجتمعنا بدويّ الأفكار، جاهليّ السلوك، ذكوريّ السطوة؟!

والأدهى من كلِّ هذا هو مساندة المرأة للعنف والظلم الذكوري المسلَّط على المرأة الأخرى بغضّ النظر إذا كانت ابنة أو أختاً أو زميلة أو نظيرة في الخلق!

والد صديقتي الكبير في السنّ يعلن أنّ (أمها هي التي أعطت ابنها الأكبر تلك السطوة من خلال تربيتها له ودلالها المفرط، كما هي التي زوّجت ابنتي دون موافقتي لأنّها أرادت الخلاص من مشاكلها).

ما أقبح ثقافتنا القائمة على العنف المقنّن والمشرعن والمؤيّد من قبل أصحاب القرار ومؤسسات التنمية وأهمها الأسرة.

كيف يمكن للفتيات الصغيرات أن يحمين أنفسهن في ظلّ منظومة قاسية تحكم قبضتها عليهنّ، وتصادر منهنّ حقوقهن التي منحها الله تعالى لهن..

تصادر باسم الله، وتُبَارك باسم شريعته.

❊❊❊

(١٣)

ما يعيب الرجل

من جملة الحِكَم التي تربّت عليها أجيال وأجيال.. حكمة بليغة جداً، سمعتها من جدّتي وأمي ومن نساءٍ كثيرات، بل تكاد كلّ امرأة ترفع هذا الشعار وتنادي بهذه الحكمة عند كل مناسبة خطبة أو محاولة إقناع فتاة بعريس ما.

الحكمة تقول: (الرجل، ما يعيبه غير جيبه)!!

يعني لا يوجد عيب للرجل سوى (الجيب)، أي الحالة المادية له هي فقط ما يُؤخذ عليه.

بمعنى أنّ الأخلاق ليست هامّة وكذلك الشرف، المبادئ، الدراسة، إنّما الهام (عنده مال لو لا) أي (عنده أو لا؟).

لا أدري من أين نَبَعَت هذه الحكمة البليغة، والتي تؤمن بها غالبية الأمّهات والنساء بشكلٍ عام وبالتالي المجتمع كلّه، باعتبار أنّ المرأة هي التي تربّي المجتمع.

عندما جاءني خاطب وكنت في المرحلة الرابعة من جامعتي، ورفضته لأنّه يملك شهادة متوسّطة فقط، قالت لي أمّي لكي تقنعني كما تمّ إقناع الآلاف من المسكينات: الرجل لا يعيبه

غير جيبه.. ماذا يعني أنّ شهادته متوسّطة؟! لديه محلّ كبير في السوق، وسيارة، أهله خصّصوا له طابقاً كاملاً مستقلاً سيكون بيتك.

وجدتني أحفر في الصخر وأنا أحاول إقناعها: أمي، حبيبتي، أنا بعد أشهر أكمل دراستي الجامعية، كيف لي أن أتزوّج بشخص أقل شهادة مني.. كيف سأتعامل معه؟ كيف سيفهمني؟ ستبقى هناك فجوة كبيرة بيننا.. لن تكون حياتنا مستقرّة.. المال ليس كلَّ شيء..

لم تفهمني أمي.. ولكنّي كنت عازمة على أن لا أجعل حياتي ورقة بيد الآخرين يحرقونها متى شاؤوا.. تعلّمت من تجارب النساء من حولي، وممّا رصدته من حكايا ومواقف.. أن أكون قوية.. وأن لا أسمح لأحد أو ظرف ما، أن يجعلني أسيرة رغبات الآخرين أو قناعاتهم.. سأتزوّج عندما أقتنع أنا بالزواج وأجد مَنْ يستحقّني حقّاً.

ألم يقل رسول الله ﷺ: «**إذا جاءكم من ترضون خُلُقَه ودينه فزوّجوه**».. لم يقل (ماله أو جيبه).

سأنتظر مَنْ أرضى خُلُقه ودينه ويكون كفؤاً لي.

لذلك غضبت أمّي مني.. ولم تحدّثني شهراً كاملاً كعقوبة لي.. كانت تتوقّع بأنّها ستجبرني على القبول.

ولكنّي لم أرضخ لها ولكلّ الضغوطات التي حدثت معي.. لأنّها حياتي وليست حياتهم.. ولأنّي أعلم جيداً بأنّ الله منحني حقّ الاختيار.. وأنّه لن يزعل مني..

وبعد ثلاثة أعوام من هذه الحادثة، جاءتني أمي تقول: أعتقد أنّكِ كنتِ محقّة عندما رفضتِ ذلك الشاب، لقد أخبرتني الجارات بأنّ زوجته انتحرت يوم أمس لجزعها وعدم قدرتها على تحمّل أذيّته.. كان من جملة ما يفعل، يطفئ السجائر في جسدها.. مسكينة..

كان في عيني أمي شيء من الحزن، لا أدري هل هو لأجل المسكينة التي انتحرت أم لأجلي.

ولكنّها قالت ولأول مرة في حياتها وهي تغادر غرفتي: يبدو أنّ هناك ما يعيب الرجل غير جيبه.

***

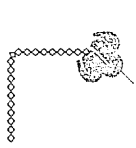

(١٤)

مكالمة:
أنقذوا أحلامنا كي ترى النور

من فوائد الهاتف، أنّه يحجب رؤية مَنْ يتحدّث!! فلا تكاد تميّز قسمات وجه محدّثك خاصة إذا كانت شابة يحاصرها الخوف من كلِّ مكان.

كان صوتها مرتجفاً وهي تتحدّث معي بلوعة توازي العنف الذي تعرّضت له «لا يمكن أن تتصوّري ما حدث؟ لن تستطيعي أن تنظري إلى جسدها المتورّم؟ يستحيل أن تتوقّعي حصول ذلك».

جاءني ذلك الاتصال من فتاةٍ صغيرة تحرص على الحضور لدروسي وتقرأ ما أكتب..

(سين)، فتاة في الصف السادس الإعدادي تتهيّأ كنظيراتها للدخول إلى امتحان البكالوريا، ولأنّها مُقبلة على الجامعة وتشجيعاً من والدتها على المثابرة على القراءة أيّام الامتحانات اشترت لها هاتفاً نقّالاً ستكون بحاجة إليه في الأيام المقبلة عند دخولها الجامعة خاصة أنّ بيتهم في أحد الأقضية التابعة

لمحافظة بابل، ممّا قد يساعد الأم على الاطمئنان عليها كلّما ذهبت ابنتها إلى مركز المحافظة وذلك حقّ طبيعي لكلِّ أم.

الابن الأكبر الحامل لشهادة الدكتوراه والأستاذ الجامعي ثارت ثائرته لهذه الجريمة الخطيرة (ولا أحد يدري لماذا)، وأرعد وأزبد فما كان من الأم التي يحاصرها الرعب إلا أن أخذت الجهاز الخطير من ابنتها وهي تُعلن بأنها ستعيده في أقرب فرصة بل قبل أن يرتد طرف ابنها، فما كان من الأستاذ «الدكتور» إلا أن انهال ضرباً على والدته ليتركها جثّة متورمة زرقاء!!

ثم يعلن في بيان عسكري بأنْ لا حقّ لأخته في الدخول إلى الجامعة، وأَمَرها بالكف عن الدراسة وعدم الذهاب إلى الامتحان!!

أعود إلى جهازي النقال المسكين الذي أخذ يهتزّ حزناً لا خوفاً وهو يستقبل صوتها الحزين «اكتبي عن ذلك، واصرخي نيابةً عنّا، فلا صوت لنا كي نطالب بحقّنا... بل لا يوجد صوت لنا لنندب حظّنا».

ضغطت على ذلك الزرّ الصغير الذي ينهي المكالمات، وإذا بإصبعي يضغط على قلبي لينفجر رفضاً وغضباً فتطايرت شظاياه لتخدشني أنا.

عن ماذا أكتب يا صغيرتي؟

عن حلمك في إكمال دراستك ودخولك الجامعة رغم كلّ ما يحيط بك من قهرٍ وخوف ومصادرة لحقوقك كإنسان وكأنثى؟!

عن حلم المرأة في بلدي بأن يُنظر إليها كإنسان ويُعطى حقّها

الذي وهبته السماء لها قبل أن تهبه القوانين الوضعية في التعليم والحرية والحياة الكريمة؟!

عن ماذا أكتب يا صغيرتي في زمن التفخيخ الذي يحاصرنا من كلِّ مكان، ليس تفخيخ الإرهاب، بل تفخيخ الأمل في نفوسنا كلّما حاولنا أن نُوجِده؟

هل أكتب عن جسد أمّك المتورّم كضريبة لأنّها فكّرت في ابنتها، ذلك الجسد الذي فخّخه ولدها «الدكتور» الذي عجز كلُّ العلم الذي تلقّاه في حياته عن إلغاء القبلية الجاهلية الكامنة في ذاته؟

ها أنا أكتب وفاءً منّي لتلك الصغيرة الجميلة التي ناضلت حتى تصل إلى الجنة، فإذا ببابها يُغلق على بضع خطوات منها...

أكتب ليسمع الجميع.. مسؤولون... ناشطون... علماء دين... مثقفون... منظّمات... بشر... واسمعوا آخر عبارة استقبلها جهازي «اكتبي لعلّ الآخرين يتّعظون، سأنزوي أنا إلى ركنٍ مظلم ولكنّي لا أريد للأخريات هذا المصير... أنقذوا أحلامنا، دعوها ترى النور».

يا ترى لماذا نعيب على زمنٍ غابر كان يئدُ الفتاة، وفي كلّ يوم تُوأد مئات الفتيات فينا ونحن نتشدّق بالديمقراطية والحرية والتقدّم؟

يا ترى كم فتاة وُئِدت أمامكم أو سمعتم بها أو لعلّكم شاركتم في وأدها؟ فالساكت عن الشيء راضٍ به، والراضي بالعمل شريك فيه.

ما أعجبنا، أمة المقابر الجماعية بكلِّ أنواعها!!

(١٥)

الجواد الأبيض

من الحقوق الطبيعية لكلّ إنسانٍ، أن يحلم!!

وإن غفلت لائحة حقوق الإنسان عن تدوين هذا الحقّ، ولم يكترث له العلماء والسياسيون وأصحاب القرارات!!

ولكنّه حقّ لكلِّ البشر.

ومن حقِّنا نحن النساء أن نحلم أيضاً..

ولكن ما هي أحلامنا؟!

عندما تسأل فتاة ما بين الخامسة عشرة والعشرين، عن حلمها في الحياة أو حلمها المستقبلي، تجيبك دون أدنى تفكير أو تردّد: أن أجد فارس أحلامي.

تريده على جواد أبيض مسرعاً إليها..

هذه هي أحلام فتياتنا.

نادراً ما أسمع منهنّ: أريد إكمال دراساتي العليا، أريد أن أكون عالمة، أريد أن أكون محقّقة في روايات السيرة، أريد أن أكون مجتهدة.. أريد أن أبني مستشفى للفقراء وأعمل لسدِّ

احتياجاتهم الصحية.. أريد أن أُنشىء داراً للأيتام على أحدث المواصفات.

أحلام فتياتنا، تنحصر في (العريس)، فقط.

يا تُرى لماذا؟

طالما شَغَلني هذا السؤال.. وكنت أتساءل دوماً مع نفسي: وأنا أيضاً أنتظره؟ ولكنّي لا أريده على جوادٍ مسرع.. أريده أن يأتي على مهل، حتى أتمعّن في ملامحه جيداً.. وأتعرّف عليه عن كثب.. وأسأله عن مفردات الحياة ومعانيها.. وأحاوره.. ثم بعد ذلك أقرّر هل أركب معه الجواد أم لا.

وما زال ذلك السؤال يضغط عليّ بمخارج حروفه: لماذا تنحصر أحلام الفتيات في الحصول على (عريس) في غالبيّتها.. وتبرمج الفتيات كلّ سلوكيّاتهن على هذا الأساس؟!

ووجدت الإجابة.. وأنا في العقد الرابع من عمري.

عندما تفحّصت في سلوكيّات الأمّهات.. ورصدت وسائل الإعلام، وقرأت الكمَّ الهائل من الروايات.. وسمعت العديد من الحكم الوعظيّة من منابر الوعّاظ.

لأنّنا تغذّينا على مفهوم، أنّ الأنثى (جسد) مخلوق (لذكر).. لا قيمة له بدونه.

فالأنثى الصغيرة، تبدأ أمّها بتدريبها على أعمال المنزل منذ نعومة أظفارها، وكلّما كبرت كلّما اشتدّ حِرْص الأم على التعليم، تعلّمها فنون الطبخ، وتفتخر أمام صويحباتها بأنّ ابنتها

تجيد طبخ (الدولة (الكوسا المحشي وورق العنب) / الكبة/ ال..)، وكأنّ ابنتها (نيوتن) زمانها في الطهي.

وتسعى الأم كذلك إلى تعليم بناتها، فنّ المكياج والأزياء وكيف تتهدّل بمشيتها وكيف وكيف..

كلّ ما يتعلّق بأمور جسدها وجسد الرجل أو تحديداً (بطن) الرجل باعتبار المقولة الشهيرة: (الطريق إلى قلب الرجل معدته)!! التي لا أعلم مَنْ قالها ولماذا قالها.

فلذلك تتغذّى الأنثى الصغيرة في اللاوعي، بأنّ دورها في الحياة هو أن تطوّر مهاراتها وخبراتها لكي تنال إعجاب أحدهم من الرجال ويتقدّم إليها.. وطريق الإعجاب هو جسدها وبطنه.

لذلك غالبية وقت الفتيات والنساء يُصرف على هذين الأمرين.

ولذلك نحن أمة مُعطَّلة القوى.. شحيحة الإنتاج.. نادرة الإبداع.

أمّة تختزل وجودها في (جسد امرأة) و(بطن رجل).

وتربّي أبناءها من الذكور والإناث على أساس هذا الوجود.

(١٦)

المساومة على شرفهنّ ورفض الشكوى

عندما تمطّت الشمس لتطرد النعاس عن جفنيها الملتهبين نوراً... ارتسم في لوحة الوجود وجه نهار!

وعندما تفرّستُ في قسمات ذلك الوجه، تراءى لي احتضار أمّة!

أمّة جاءت لتكون ﴿خَيْرَ أمة أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، فإذا بها أمة عاطلة عن العمل والإنتاج، تكرّر نفسها في كلِّ زمن، وتستنسخ تجاربها سلباً وإيجاباً.

عن العقل أتحدّث، وعن ما ينتج من قناعات.

وتحديداً عن المرأة وقناعتها.. ولأنّ المرأة كما يقولون نصف المجتمع وتربّي النصف الآخر، فإذاً هي كلّه.

فمن خلال عملي معهن، وجدت أنّها ظالِمة لنفسها أكثر ممّا يظلمها الرجل، ومصادِرة لحقّها في الحياة أكثر ممّا يفعل الرجل.. عندما رضيت بأن يتم استضعافها وهي قانعة بأنّ هذا هو الصواب.

فكم من مرّة غضبتُ لحالها وهي لم تغضب، وبكيتُ لأجلها وهي غير مبالية، وقاتلتُ لأعيد لها حقّها، وهي ترجوني أن أسكت خوفاً من غضبه (غضب الرجل).

فلا أدري لمن أحتار، لحالها أم لحاله أم لحال أمة ارتضت لفكرها أن يتجمّد، وشرعنت كلّ آليات استبدادها وظلمها وترجمته باسم الله.

فعندما تطلب من المرأة أن تلجأ للقضاء كي يأخذ حقَّها بعد أن أخذ الرجل منها عمرها وصحّتها ومالها، وأحلامها.. ورماها ليتزوّج بغيرها أو يهجرها، ترفض تارة بحجّة العيب (كيف أشتكي على زوجي)، وتارة بحجّة الخوف من المجتمع (ماذا سيقول النّاس عنّي؟).

عندما تطلب من الأسرة أن تدافع عن حقّ ابنتها.. تلك الفتاة التي تحرّش بها أستاذها في الجامعة وساومها على شرفها، ترفض الأسرة بذكورها وإناثها بحجّة (كيف نفضح ابنتنا؟) وكأنّما هي المذنبة؟! فيسارع البعض إلى حرمانها من التعليم وإبقائها في البيت، أو نقلها إلى جامعة أخرى، أو تشديد المراقبة عليها، وفي بعض الأحيان قد ترضخ الفتاة لما يُطلب منها خشية أسرتها أو مجتمعها أو حتى تنال درجة النجاح.. ولا تفكّر بالشكوى!

الأخت التي يحرمها إخوتها من الميراث، بحجّة (أنّنا لا نورّث البنات فيذهب مالنا للغرباء)، ترفض أن ترفع شكوى ضدّ إخوتها (ماذا سيقول النّاس عنّي؟ تشتكي إخوتها للقضاء)؟

وكم امرأة دفعت ثمن سكوتها هذا، فقراً وعوزاً هي وأولادها.. ترضى بالفقر والذل وقبول صدقات المجتمع على أن ترفع شكوى!

كم من امرأة خسرت وظيفتها، لأنّ مديرها يساومها على شرفها، ترضى أن تخسر عملها أو أن ترضخ لما يُراد منها.. ولكنّها لا ترضى أن ترفع شكوى!

كم من النساء الفقيرات، أرامل وغيرهن، يتمّ مساومتهنّ على شرفهنّ حتى يقدّم لهن مساعدات أو معونات تسدّ رمقهنّ ورمق أولادهنّ.. وفي بعض الأحايين من قبل مؤسّسات دينية وخيرية تتمّ تلك المساومة، فترضخ المرأة حيناً وترفض المساعدة حيناً آخر.. في كلا الحالتين: ترضى بالذلّ أو ترضى بالفقر والعوز ولكنّها لا.توافق بأن ترفع شكوى!

يا تُرى لماذا؟

لماذا ترضى النساء بأنْ يعِشْنَ الفقر والعوز والذلّ وانتهاك الحقوق واستبداد القوي فيهنّ، على أن ترفع شكوى؟! أو تتحدّث بما تعاني به.. أو تصفع أحدهم على الأقل.

هل الخوف يقيّدها؟ أم فقدانها الحماية الاجتماعية وشعورها بأنّها وحيدة أمام التيّار؟!

ألم يُنزل ربّ السموات والأرض في قرآنه سورة كاملة اسمها (المجادلة)، يحكي فيها لنا عن امرأة جاءت تجادل رسول الله ﷺ في حقّها عند زوجها؟! وقد سمعها الرسول كما سمعها الله تعالى وأنزل بحقّها سورة كاملة ما زالت البشرية تقرأها

حتى قيام الساعة.

ألـم يرفـض الله تعالـى في قرآنه كلّ أشـكال الظلـم وبيّن أن الكون وما فيه من نُظُم وسُنن قائم على العدل والإنصاف.

ألـم يجعـل الله ضمـن أنظمـة المجتمع في ضبط سـلوكيّاته وحماية ضعفائه، قوانين (القصاص)؟!

ألم يقل تعالى في محكم كتابه: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩] أو ﴿تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

وغير ذلك كثير..

النسـاء لا يدركن جيّداً كم أنّ السـماء منحتهـنّ فرصاً عظيمة للحيـاة الكريمـة، وأنهـنّ علـى قـدم المسـاواة مع الرجـال في الحقـوق والأدوار.. وأنّ السـماء تلعن الظالم مهما كان جنسـه (امرأة أم رجلاً).. وأنّ الملائكة ليست نصيرة الرجال أبداً.

لا أدري بأيّهمـا نبـدأ، بقناعات الرجال أم بقناعات النسـاء.. كـي تتحقّـق منظومة العدل فـي الحيـاة ويأخذ كلُّ إنسـان دورَه الحقيقي، ويرتدع عن مصادرة حقوق غيره؟!

مَن يصنع التغيير؟! مَنْ سيبدأ أولاً.. النساء أم الرجال؟!

أيّهما بيده زمام الأمور؟!

***

(١٧)

خائفة

من أصعب العقد في النسيج المعرفي والنفسي للإنسان، عقدة الخوف!!

وللخوف أنواع وأشكال وصور وأسباب متعدّدة ومتباينة... ما يهمّني في هذه العجالة عقدة الخوف من الآخر!!

كنت أخافهم دوماً.

عندما كنت صغيرة، أخاف أبي.. عندما يدخل إلى البيت، يسكن كلُّ شيء.. ويتغيّر لون الحياة بتغير لون وجه أمي.

وعندما كبرتُ قليلاً، بدأت أخاف أخي أيضاً.. وأتجنّب الجلوس بقربه أو الحديث معه.

وبمرور الوقت، اعتدت الخوف من كلِّ رجل، باعتباره رجلاً.

وعندما تزوّجت، أصبحت أخاف من كلِّ شيء.. من المجتمع أن يتحدّث عنّي بسوء، من أمّي وأبي أن يعرفا بأنّي غير سعيدة في حياتي فينهراني لأنّي لست امرأة صالحة. من أهل زوجي الذين عليّ أن أسعى دوماً لكي أظهر بمنظر لائق أمامهم،

أنا وبيتي وأولادي.

وأخافه على مدار دقّات الساعة.

أخاف أن يتأخّر موعد طعامه، أن تكون ملابسه غير مكوية بشكلٍ جيد، أن يكون حذاؤه غير مصبوغ بشكلٍ جيد.. أن يكون مذاق الشاي ليس كما يريد.. أن يرسب أحد الأولاد في دروسه، أن لا أرضيه في حوائجه..

وكلّما كان يغضب، كنت أحنق على نفسي، لأنّي أعتبرها هي السبب!

وعندما يغضب، ويشتم ويسبّ وفي بعض الأحيان يضرب أيضاً.. لا أنتفض لكرامتي أو لإهانتي أمام أولادي.. بل أنكمش على نفسي خجلاً من نفسي لأنّها لم تكن كما يريد هو!

وليلاً، أسعى لرضاه.. ألم يقل رسول الله: (إذا نامت المرأة وزوجها غاضب عليها تلعنها الملائكة حتى الصباح).. لا أريد أن يغضب الله مني.. ولا أريد أن تلعنني الملائكة.. فكنت أسعى لرضاه بشتّى الوسائل.. ولا أنام حتى أسأله: (هل أنتَ راضٍ عنّي)؟

هكذا مرّت حياتي.. كحياة الملايين من النساء..

نسعى جميعاً لرضا الرجل.. ولكنّه لم يفكر يوماً بالسعي كي نرضى.. فمن نحن حتى يُهتمّ لرضانا أو حتى لمداراة مشاعرنا.

ولذلك عندما بلغت الخمسين من عمري، وأصابتني (جلطة دماغية) أقعدتني طريحة الفراش.. طلبوا منّي أن أفكر فيه..

(خطية) فهو رجل يحتاج إلى امرأة.

أما المرأة، فماذا تحتاج، ليس هامّاً.

تزوّج عليّ.. هذا من حقّه.

فأين حقّي على مدار عمري كلّه؟!

ومن أين أطلب ذلك الحقّ؟!

***

(١٨)

الكنّة والحَماة (العمّة)

أحلى ما في عمر المرأة عندما تكبر مع الأيام، بحثُها عن زوجة لابنها!

ترى الواحدة فينا تضع قائمة بخصوصيّات ومميّزات (الكنّة) المنتظرة والتي تتمحور في العيون الملوّنة والشعر الأصفر الطويل والقامة الهيفاء والبشرة البيضاء و... أضف إلى ذلك الحسب والنسب والمال و..! وأكيد للفتاة الموظّفة حصة الأسد من نصيب (الخطبة)، فهي مفضّلة على غير ذات الراتب.

وعندما تدخل العروس بيت الزوجية، وتبدأ المرحلة التنفيذية في حياتها مع العائلة الجديدة، تنقلب نظرة العمّة الكبيرة (الحَمَاة) وتبدأ بتوقّعات جديدة تنصبّ في مدى نظافة العروس واستعدادها للعمل والتضحية في سبيل البيت الكبير، أخلاقها في تعاملها مع أفراد العائلة الجديدة، حبّها للعمة وطاعتها وقائمة عريضة طويلة من التوقعات الأخلاقية والاجتماعية التي غاب عن الأم الكبيرة أن تدرجها في قائمة طلباتها الأولية عندما كانت تبحث عن (كنّتها)!

وعندها تحدث الطامة الكبرى، وتنشقّ عصا الطاعة...

ويسقط الرجل (الابن) المسكين في دوامة تباين قوائم التوقّعات ما بين المعسكرين!!

والأدهى من ذلك، أنّ الأم الكبيرة تناقض نفسها بنفسها عند التعامل ما بين الكنّة والابنة، وتكيل بمكيالين، ممّا يدفع الكنّة (المرأة) إلى الحنق والغضب، ويدفع (الابنة) إلى التسلّط والتمرّد، ويدفع (الرجال) في العائلة إلى التخندق كلّ حسب (مرتكزات المصالح والشهوات)!

حقيقة الأمر: علينا أن نفهم شيئاً واحداً، أنّ الظلم يُنتج ظلماً.. وأنّ العنف يفرّخ عنفاً!

فالكنّة التي تُظلَم.. ستظلِم هي الأخرى.

وأنّ الأنثى التي ترضخ لمنظومة قيم مجتمعية ظالمة لها ومصادِرة لحقوقها، ستحاول التنفيس عن مظلوميّتها هذه، بأيّ حلقة ضعيفة في سلسلة علاقاتها الأسرية أو الاجتماعية فتبطش بها.

سبحان الله..

أقام كونه وأسسه على العدل والإنصاف..

فإذا بخليفته الإنسان يقيم مملكته على أساس الظلم واستبداد القويّ بالضعيف.

من جدليّات علاقة القوى بين الأفراد، وما ينتج عن اختلالها ليس بين الرجل (باعتباره الأقوى) والمرأة (باعتبارها الأضعف) فقط، بل بين المرأة والمرأة الأخرى نفسها.

يتجرّدان من دائرة الضعف مقابل قوّة الرجل، ليقفا أمام

بعضهما البعض كضعيفين، يحاول أن يستبدّ أحدهما بالآخر ليخبره بأنّه الأقوى.

واللطيف بالأمر، أنّ إخبار الآخر بأنّه قويّ يكمن في استضعافه وإذلاله ومصادرة حقوقه.

سلسلة العلاقات بين البشر، تزداد اضطراباً يوماً بعد آخر.. لأنّ حلقات القوى فيها غير متوازنة، والكلّ يبحث عن حَلْقَة أضعف يستبدّ بها.

يا ترى لماذا؟!

لماذا لا نجيد الحياة كإخوان، كنظراء في الخلق، كبشرٍ متساوين في الحقوق والواجبات، كأفراد مجتمع واحد يعاضد بعضه البعض الآخر؟!

لماذا نعجز عن رسم حدود علاقاتنا مع الآخر بناءً على الاحترام والمحبة والاعتراف بحقّه في الحياة؟!

لا أعتقد بأنّ الدين له علاقة بالأمر..

إنّما هي منظومة تربويّة وفكريّة نشأنا عليها.. وروّج لها أصحاب النّفوذ والسّلطة.

وتبقى المرأة هي الخاسر الأوحد في هذا الميدان..

ما بين الحَلْقَة الأقوى (الرجل)، وما بين خسرانها بنات جنسها وتحويلهنّ من مناصرات إلى محاربات.

ولذلك كانت النساء في مجتمعي، أوّل مَنْ يرجم المرأة إن رفعت صوتها أو طالبت بحقّها.

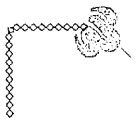

بفأس إبراهيم
سنكون أسياد الحياة

أخذت فرائصي ترتعد.. لقد كذبتُ عليه.

كان يحبّ تلك المزهرية كثيراً، جلبها معه من الصين عندما سافر إليها العام الماضي، لا أعرف كيف سقطت من الرّف وأنا أنفض الغبار عن مجموعة التحف التي يقتنيها.. حدث ذلك في أقلّ من ثانية.. ثانية غفلة!

ماذا أفعل؟ سيغضب وربما يضربني لو علم بالأمر.

جمعتها على عجل، ووضعت الشظايا المتبقية منها في مكان مخفي، وحرتُ بماذا سأخبره.

وعندما سأل عنها، أجبته بأنّ ابن أخيه الصغير كان يلعب عصراً في البيت ورمى بالكرة عليها فانكسرت، والصغير أخذ يبكي من الخوف وولى هارباً إلى بيتهم.

غضب منه وأخذ يشتمه وأراد أن يرفع سماعة الهاتف ليتصل بأخيه ويوبخه على سوء تربيته لابنه، ولكنّي منعته بحجّة أنّ ذلك منافٍ للخُلُق ولا يجوز أن يتخاصم مع أخيه الكبير من

أجل مزهرية، سأحاول أن أبحث عن شبيهتها وأشتريها.

سكت على مضض، تعكر مزاجه.. ومن ثَمَّ استغرق في متابعة نشرة الأخبار..

تعشينا ثم آوينا إلى الفراش.. ولكنّي لم أنم.

ليس لأنّ مزهريته انكسرت.. وليس لأنّه غضب.

بل لأنّي كذبت.

لم أكن أكره شيئاً في الحياة، ككرهي للكذب، وكنت دوماً أستشهد بحديث رسول الله ﷺ في أنّ المؤمن قد يزني ولكنّه لا يكذب.

وكنت أعلم بأنّ الكذب لا يطيقه الله ولا رسوله، وفي صباح اليوم التالي أخبرتُ صديقتي المقرّبة بما حدث، ولكنّها قالت لي مُطمْئنة: لا عليك.. هي كذبة بيضاء، لا تضرّ، بل أحسنتِ صنعاً، لقد قمت بدفع الضَّرر عنك.. ربما كان سيشتمك أنت أو يؤذيك بكلامه أو ربما يفتعل مشكلة ما.. هذه لا تُسمّى كذبة.. هذا درء للضرر.

لم أقتنع بكلامها.. لو أننا أوجدنا مبرراً لكلّ ذنب اقترفناه لانتفت الحاجة إلى التوبة ولأصبحت الذنوب جميعها مباحة بحكم تبريراتها.

ما زلت أشعر بثقل في صدري، خرجت عصراً إلى السوق ووجدت شبيهتها، اشتريتها وعدت بها إلى المنزل، ولكني ما زلت غير راضية عن نفسي.. لقد كذبت وافتريت على طفل

صغير أيضاً! فكيف لي أن أقف بين يدي الله تعالى وأُصلّي له.

شعرت برغبة للحديث مع أحدهم، ولم أجد غير الله يسمعني، فتوسّلت إليه أن يغفر لي وأن يهديني إلى مخرج ممّا أنا فيه، ومن ثم فتحتُ القرآن: فكانت سورة إبراهيم عليه السلام، بدأت بتلاوتها وكأنّي أقرأها لأوّل مرة.. ولم أتمالك نفسي من البكاء..

أنا لم أكن مكسورة لأنّي كذبت.. بل لأنّي خفت زوجي، خفته أكثر من الله تعالى، وخوفي منه هو الذي جعلني أكذب.. نحن نكذب لأجل أن نجلب مصلحة أو ندرأ ضرراً كما قالت صديقتي، ولكنّنا في حقيقة الأمر نكذب لأننا نخاف.. نخاف أشخاصاً غير الله تعالى، ممّا يجعلنا نعتقد أنّ الخير والشر بأيديهم فنخافهم.. فنكذب بين أيديهم.

أنا خفته أكثر من الله.. هذا هو ذنبي.

واستعنت بفأس إبراهيم عليه السلام حينها.. كي أحطّم الصّنم في داخلي.. أحطّم الخوف في داخلي.

عندما جاء ليلاً، وجد المزهرية، تهلّلت أساريره وهو يقول: من أين اشتريتها؟!

لم أجبه، وقفت أمامه قائلة: لقد كذبت عليك.. أنا التي كسرتها عندما كنت أنفض الغبار، كذبت لأني خفتك.. خفتك أكثر من الله.. كنت أنت حينها أكبر من الله، فسعيت لأرضيك أنت ولو على أساس غضبه هو.. هذه المزهرية هي شبيهةٌ لتلك ولكنّها لا توازيها بالقيمة أو بالتكلفة.. وأنا مستعدّة لغضبك أو

ما ستقوله.. وسأكون سعيدة بكلِّ ما تفعله بي.. لأنّي تحرّرت من خوفي ولم أعد أخاف سوى الله.. لن أكذب بعد الآن.

نظر إليّ نظرة لم أفهمها.. غادرني إلى غرفته..

جلس إلى طعام العشاء صامتاً.. شاهد نشرة الأخبار صامتاً، لم يتحدّث معي أبداً.

وعندما آوينا إلى الفراش، التفت نحوي وقال: حاولي أن تنتبهي في قادم الأيام على الأغراض وأنت تنظّفين.. فأنتِ تعرفين كم كانت تلك المزهرية غالية عندي.

لم أجبه، أدرت ظهري إليه وأغمضت عيني.. فقد كانت فأس إبراهيم تحطّم كلّ أصنام الخوف في داخلي وتعيد قلبي للتوحيد.

عندما نخاف أحداً، فهذا يعني بأنّنا أشركنا بالله.

بعد مضي عشرة أعوام على هذه الحادثة، كنت قد أصبحت سيدة أعمال كبيرة، لي عملي الخاص وأنشطتي الخاصة، أسّست مؤسّسة خيرية لدعم الفقراء.. وكسبت مناصرين كثيرين ساندوني في عملي..

كان زوجي ينظر من بعيد لما حقّقته من نجاحات، كان غاضباً ولكنّي لم أعد أهتم لآلهة البشر، لأنّ توحيدي حرّرني من كلِّ قيود الخوف.

المشكلة تكمن في خوفنا من الآخرين دون الله تعالى.

لنخف الله فقط، وحينها سنكون أسياد الحياة.

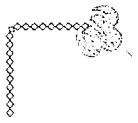

(٢٠)

خديجة

تختزن بعض الأزمنة قدسية معينة اكتسبتها من أحداث ووقائع اقترنت بتقويمها، لتضفي على حياة البشر شيئاً من الشفافية في عملية أنسنة المخلوق الترابي المستفيد الوحيد من معادلة الزمن.

ومن تلك الأزمنة، العاشر من شهر رمضان المبارك، ذكرى وفاة السيدة خديجة سلام الله عليها.

دعوت صديقاتي ذات عام إلى مجلس عزاء في يوم وفاتها.. استغربت الكثيرات منهن، لأنهنّ لم يَكُنّ يعرفن بأنّ يوم وفاتها يصادف هذا اليوم..

قالت لي إحداهنّ: والله هذه أول مرة أعرف فيها بأن يوم ١٠ رمضان يوم وفاة السيدة خديجة.

اللطيف بأن (الملة) القارئة التي جاءت لتقرأ لنا مجلس العزاء، فتحت دفترها العتيد وهي تقول: نقرأ على الزهرة (الزهراء عليها السلام)؟!

أجبتها: كلا.. سنقرأ على خديجة سلام الله عليها.

قلبت دفترها على عجل، وقالت: نقرأ على الأم وبعدين نختمها بقصيدة للسيدة زينب.

أوجعني قلبي.. ألا يوجد في دفترها قصيدة واحدة عن السيّدة خديجة؟!

ليلاً، سألت زوجي وأنا مستاءة: لما لا يُحتفى بالسيدة خديجة كما يُحتفى بالسيدة الزهراء والسيدة زينب وهي أمّهما، وأصل وجودهما؟!

نظر إليّ قائلاً: دورها كان بسيطاً كما أخبرنا التاريخ، ليس كدور الزهراء وزينب.. السيدة زينب حملت مسؤولية العيال في الطفّ بعد مقتل الحسين عليه السلام.

لم أقتنع بكلامه.. لم يكن دور خديجة سلام الله عليها دوراً بسيطاً في التأريخ.. كانت حبيبة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وناصرته..

وبقي هذا الوجع يحمله قلبي حتى وجدت الإجابة بعد سنين من هذه الواقعة.

عندما أخذت أمعن النظر والبحث في كيفية تقديم السيدة زينب والسيدة الزهراء سلام الله عليهما للجمهور.. وخاصة الجمهور النّسوي..

تقديماً بائساً كمشهد دراميّ للبكاء والضّعف والنّحيب.

استعراض لتأريخ كلّه دموع وضعف، ورثاء ملالي لاستدرار دموع النّساء وإثارة عواطفهن بدون أدنى إثارة للعقل والفكر..

فالسيدة الزهراء سلام الله عليها عبارة عن بيت للأحزان

والبكاء، يطلب أهل المدينة من زوجها عليّ بن أبي طالب عليه السلام أن يبعدها عنهم لأنها آذتهم ببكائها؟!

أيُّ سخف هذا؟!

ابنة رسول الله، تجزع وتؤذي الناس ببكائها؟!

ابنة رسول الله، تترك رسالتها في الحياة ودورها وتنشغل بالبكاء والنواح حتى يفرد لها زوجها بيتاً بعيداً يُسمّى بعد ذلك (بيت الأحزان)؟!

السيّدة زينب سلام الله عليها يسمّونها أم المصائب، في حين أنّها لم تكن أم لمصيبة، لأنّها وصفت ما أصابها عندما سُئلت عن صُنع الله فيها، قائلة: «**ما رأيت إلا جميلاً**»!

هي أُمّ الصبر، هي سيّدة التحدّي، هي الثائرة الشجاعة.

عرفتُ لماذا لا يذكرون السيدة خديجة سلام الله عليها كما يذكرون ابنتها وحفيدتها، لأنّ السيدة خديجة لا يوجد في تأريخها ما يستدرّ الدمع أو يسطِّح العقل أو يستدرّ الشفقة.

كانت عظيمة، في كلِّ شأنها.. تحدّت مجتمعها وخطبت مَنْ أحبّت وأرادت وهي الفتاة الصغيرة في العمر، وليس كما يصفونها بـ(المرأة الثيب)، لم تتزوّج السيدة خديجة قبل رسول الله، كانت شابة صغيرة، ذات حسب ونسب ومال، تزوّجته وناصرته وبذلت في سبيل رسالته ودعوة الله مالها وصحتها وشبابها وعمرها.. هي امرأة لا تُعجب رجالنا.. هي امرأة لا يريد رجالنا أن تكون قدوة لنا..

إنّهم يبحثون عن مواقع الضعف والخنوع، ليجعلوها مشاهد يتكرّر عرضها علينا باستمرار حتى نكون مثلها.

لذلك هم لا يعرضون السيّدة زينب عليها السلام، بمشهد بطولي ثائر.. ولا يركّزون على مواقفها الشجاعة ومسيرتها في التغيير.. يذكرون مقطعاً واحداً من حياتها، ألا وهو واقعة الطف وبدراما باهتة لا تليق بشأنها العظيم.

لا يذكرون دورها بعد واقعة الطف وما قامت به من حراكٍ مدنيّ واسع لفضح السلطة آنذاك واستظهار أهداف النّهضة الحسينيّة للمجتمع، وكيف أن السلطة نفتها إلى الشام ثم إلى مصر ثم إلى الشام.. أيّ امرأة جبّارة كانت تلك وقد بلغت الستين من عمرها.

لماذا يصرّ أصحاب المنابر والملالي على أن يختزلوا السيدة زينب عليها السلام في سوادٍ ونواح وبكاء؟!

ولماذا يصرّون أيضاً على تغييب السيدة خديجة سلام الله عليها من أدبيّاتنا كنساء مسلمات؟! ومن تأريخهم كرجال مسلمين؟!

وسأبقى أتساءل: لو كانت السيدة خديجة والسيدة الزهراء والسيدة زينب، في تأريخ الغرب يا تُرى كيف سيتعاملون معهنّ؟! وكيف سيقدمونهنّ لأجيالهم؟!

***

(٢١)

اللون الأسود

للوجود إبداعات عدّة، من إبداعاته: تباين الألوان وتعدّدها!!

فيا تُرى كيف ستكون صورة الوجود لو كانت بلونٍ واحد أو بالأبيض والأسود فقط؟!

تكاد تكمن جمالية كلّ شيء في لونه... ولكلّ لون دلالته التي تلقى على الأشياء بظلالها وتتفرّد بمعناها.

والنفس الإنسانية تتكامل بقدرتها على ترجمة تلك الألوان إلى واقعيات روحية تتفاعل معها وتسمو بها لترسم في النهاية لوحة الخلود.

في تركيبتنا المعرفية الموروثة الكثير من الإشكاليات التي بحاجة إلى إعادة النظر وإعادة الصياغة والتركيب... منها نظرتنا إلى الألوان!!

فكثيراً ما نسمع من الآخرين وتحديداً من المرأة كلمة (اليوم الأسود)!

فتراها تلقي باللوم على اليوم الأسود في كلِّ ما يمرّ بها من أحداث وتداعيات لمواقف قد اتّخذتها في حياتها، وكأنّ

التقصير كلّه يقع على ذلك اليوم الأسود المسكين الذي أخذ منها الحلم والأمل ورسم لها المصير في حالة من التنصّل للإرادة والاختيار ولدورها في صناعة الحدث المرتبط بمسيرة حياتها.

وتراها حيناً آخر تجمع المال والذهب لأجل اليوم الأسود الذي قد يأتي به الزمن يوماً ما!!

ولكنّي لم أرها يوماً تتسلّح بالعلم والمعرفة والوعي وتجاهد قدرها حتى تنتصر على اليوم الأسود الذي قد يأتي يوماً ما!!

يا ترى ما هي فلسفة اليوم الأسود في موروثنا الفكري المتغلغل في نسجينا الاجتماعي والمعرفي والمتحكّم في الكثير من رؤانا؟!

ما هي ميزة اللون الأسود على غيره من الألوان ليكون هو اللون المفضل؟

أظنّ بأنّ هذه الرؤية الخانعة السوداوية للأمور والحياة بصورة عامة لم تأتِ من فراغ... إنّما هي نتاج طبيعي لما حكم أفكارنا منذ عقود من الزمن ونشأنا عليه سنين طويلة... هو حصيلة جهود أُريد لها أن تغرس غرسها في أرضنا لتجعل منّا أمة متكاسلة خانعة مستسلمة لأقدارها راضية بما يجري عليها، قادرة على أن تفلسف خنوعها وفشلها بإلقاء التبعات على الزمن النّحس واليوم الأسود.

وخاصة لنا نحن النساء.. أُريد لنا هذا ومع سبق الإصرار والترصد.

فجدّتي منذ وعيت الحياة، أسمعها تردّد: (القسمة السودة / الحظ الأسود / ذلك اليوم الأسود)، وكانت أمّي وريثتها في هذه القناعات وكذلك بقيّة النساء من حولي.. حتى اقتنعت بأنّ القدر الأسود هو حصّة النساء من الحياة.

لا نجيد فنّ اختيار شريك الحياة، فنقول: قسمتنا سودة.

لا نعرف كيف نمارس أدوارنا في الحياة، فنقول: حظّنا أسود.

نسمح للآخرين بأن يصادروا حقوقنا، ومن ثَمَّ نندب حظّنا الأسود.

نرضى بأن يستضعفونا، ابتداءً من الأب والأخ والزوج ومروراً بزميل العمل والمجتمع وانتهاءً بالحاكم السياسي، ونبرّر ذلك لأنفسنا قائلات: (قدرنا أن نكون نساء.. حظّنا أسود).

هي قناعات أرضعونا إياها مع حليب أمّهاتنا.. فصدأت الإرادة فينا، وتجمّدت العقول.

وتحوّلنا إلى مخلوقات خانعة، راضية، مستكينة.. لا تجيد غير الحوقلة والجزع.

نحن بحاجة ـ بنات حواء ـ إلى ثورة، على أنفسنا أولاً، كي نفهم بأنّ الله خلق الألوان كلّها لنستثمرها في رسم صورة الحياة..

نحن بحاجة، إلى إعادة تشكيل قناعاتنا تجاه أنفسنا والحياة والآخرين.

❊❊❊

(٢٢)

ما زالت جارية لذلك العجوز

عندما كنتُ في العاشرة من عمري، كنت أنتظر وصولي إلى المرحلة المتوسّطة، كي أمسي فتاةً أنيقة كفتيات المدرسة المتوسّطة التي بجوار بيتنا.. أرتدي حذاءً بكعب عالٍ بعض الشيء، وأصفّف شعري بعيداً عن الجديلة التي تصرّ أمي عليها وهي تقول: ما زلت طفلة صغيرة على فتح شعرك.. الجديلة هي الأنسب.

كنت أحسب الأيام كي أذهب إلى الصف المتوسط الأول.. ولكنّي بقيت أحسب الأيام.

فعندما وصلت إلى المرحلة المتوسّطة، توفي أبي.. كان عاملَ بناء بسيطاً بالكاد يقوى على سدِّ رمقنا من خلال عمله المتقطّع.. وضاقت الدنيا بأمّي.

عادت بي وبأخي الذي يصغرني بعامين إلى بيت أبيها.. عادت أرملة وهي في الخامسة والعشرين من عمرها.

وكان جدّي لأمّي ضعيف الحال أيضاً، بدأت أمي تخبز لنساء المنطقة مقابل أجرٍ كي تكفينا مؤنة الحياة ولا تمدّ يدها

للآخرين.. وكان قدري أن أترك المدرسة لعدم استطاعة أمّي على تحمّل نفقاتها.

ولكن أخي ما زال مستمراً في دراسته، فقد قال لها جدّي ذلك المساء: الفتاة مصيرها الزواج وزوجها يتكفّل بها.. لا حاجة لتعليمها، أمّا الولد فيجب أن يكمل تعليمه لأنّ وراءه مستقبلاً وأسرة يصرف عليها.. يجب أن يكون له شهادة ووظيفة.

اقتنعت أمي بكلام أبيها، وأجلستني الدار.. ومضت الأيام بنا.

مات جدّي، وماتت جدّتي، وتفرّق أخوالي كلٌّ لحال سبيله، تخرّج أخي من الإعدادية وهو يعمل الآن في محلّ خياطة عصراً ويكمل جامعته صباحاً.. وبقيتُ أنا أداول الأيام بروتينها وأعتني بأمّي المريضة.

لم أتزوّج.. ولم أكمل دراستي.. ولا أعرف لماذا؟!

هل لأني أنثى..

ماتت أمي بعد عامٍ من تخرّج أخي.

سافر أخي لإكمال دراسته في الخارج، وتزوّجت رجلاً يكبرني بعشرين عاماً ترمّل منذ فترة قصيرة وأراد مربّية لأبنائه وجارية له.

لا أدري كيف تمّ رسم قدري بهذه الطريقة، بقناعة مفادها: (الفتاة مصيرها الزواج لا حاجة لها في التعليم)، وكأنّ التعليم فلسفته الوحيدة هو الوظيفة وجلب المال.

والوظيفة وجلب المال في عرف مجتمعي، حقّ الرجال واختصاصهم فقط.

سأقف أمام الله، وأطلب منه أن يحاسبهم ولكنّي لا أدري من سيحاسب على ما آل إليه حالي؟ جدّي؟ أم أمّي؟

أم مَنْ غرس تلك القناعات في عقولنا؟!

ما زلتُ جارية لذلك العجوز..

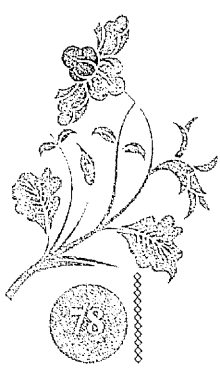

❊❊❊

(٢٣)

علامة استفهام

عندما كنتُ صغيرة، أعتقدت بأنّ صِغَرَ سني سببٌ في عدم سماع الآخرين لصوتي، وعندما كبرت ما زال الآخرون لا يسمعون صوتي!

كانوا يقولون لي فيما مضى: أنت صغيرة لا تفهمين شيئاً، لم يحن وقتك بعد!

وعندما كبرت قالوا: أنتِ امرأة، عيب عليك أن تناقشي الرجال (أب، أخ، زوج، زميل، حاكم)، أو أن تفهمي أكثر منهم!

وهذا ما أقوله الآن لصغيرتي!! وما ستقوله صغيرتي لصغارها في قادم الأيام.

اللطيف أنّنا نعيش في عالمٍ يدور بشكلٍ سريع، يدور حول التطوّر والتقنية الحديثة والاكتشافات المذهلة في كلِّ شيء.. وندور نحن حول أنفسنا، لنناقش: هل تصلح المرأة لأن تكون وزيرة؟! هل نسبة الكوتا دعم لعمل المرأة السياسي، هل تناسب واقعنا مرحلياً أم لا؟! لماذا لا يوجد لدينا مدير عام امرأة؟ لماذا لا نملك حزباً تقوده امرأة؟! وامتلأ عالمنا بعلامات استفهام

تدور حول نفسها في دهشة من أمرنا!

والمدهش أيضاً، أنّنا انشغلنا في البحث عن إجابات لعلامات الاستفهام هذه، ولم نشعر بأنّ عالمنا أصبح هذه العلامات.

ولأنّ الجميع مشغول بالبحث عن علامات استفهام جديدة يضيفها إلى اللائحة العتيدة، فسأكون واحدة منهم، لأتساءل: هل يصلح الرجل ليكون وزيراً لكونه رجلاً؟ وهل رجولة الإنسان كفيلة بأن تفتح له أبواب الخيرات في الدنيا والآخرة؟! هل الرجل يصلح لأن يكون مديراً عاماً؟ وهل الأحزاب التي يقودها الرجال حقّقت أحلام جماهيرها؟!

هي علامات استفهام أخرى تدور حول نفسها، ولكنّها لن تدور حول واقعنا، لأنّ هذا الواقع لا يؤمن بعلامة (لأنّها مؤنث)، ولكنّه يؤمن بالاستفهام (لأنّه مذكّر)، فليستفهم الآخرون عمّا لا يعرفونه، ولكن محذور عليهم أن يطلقوه كعلامة!!

فعلامة الاستفهام، تعني أنّك تفكّر.. وربما يقودك التفكير إلى الرفض، ومن ثَمَّ الثورة، وفي ربيع الشعوب العربية ـ كما بدأوا يسمّون زماننا ـ الثورات ضدّ الأصنام السياسية مباحة ولكن ضدّ الأصنام الاجتماعية والعرفية لم يأتِ زمانها بعد!!

أمّا الاستفهام، فيمكن أن نستفهم عمّا لا نعرف، فنعرف. ما يهمّ أنّ لا تقودنا معرفتنا إلى الرفض، فكم هي الأشياء التي نعرفها ولكنّها لا تحرّك فينا ساكناً ولا تقودنا إلى التفكير أو الرفض.

بونٌ شاسع بين مَنْ يستفهم، ليعرف لماذا لا يُسمَع صوت

المرأة، وبين مَنْ يطلقها علامة استفهام؟!

نحتاج في مرحلتنا هذه، إلى علامة استفهام صادقة وجريئة، حول قضايا المرأة، وخاصة في موضوعة (صناعة القرار).

فكيف لي أن أتحدّث عن مشاركة المرأة في صناعة القرار، وهي لم تتعلّم بعد كيف تعبِّر عن نفسها، كيف تثق بنفسها، كيف تميّز بين أنوثتها وإنسانيّتها، كيف توازن بين أدوارها في الحياة؟!

مَنِ الذي جعل المرأة هكذا.. الرجل؟ المنظومة التربوية؟ المنظومة الاجتماعية؟ النظم السياسية؟ أم المرأة نفسها؟!

أنا لا أستفهم، لأنّي أعرف.

بل أنا أُطْلِقها علامة استفهام، للنساء قبل الرجال.

علامة استفهام لحملة مدافعة كبرى، ضد أنفسنا نحن النساء أولاً.. أن نتعلّم كيف نفكِّر بعد أن تعوّدنا على أن يفكِّر لنا الآخرون.

أن نفهم بعضنا البعض، وأن نساند بعضنا البعض، وأن نحمي بعضنا البعض، وأن نشدّ أزر بعضنا البعض.

أن نتعلّم كيف نصنع قرارنا بأنفسنا، بعد أن أَلِفنا أن يُصنع لنا ذلك!

علينا أن نوحّد عوالمنا المتشرذمة المتناثرة، فأقسى ما يؤلمني أن أرى المرأة نفسها مستسلمة لواقعها، راضية بما خطّطوا لها، مدافعة عن عالم صنعه الآخرون لها، وبذكاء تبرّر...

أعتقد بأنّ في المرحلة الحالية، لسنا بحاجة إلى امرأة وزيرة،

(فقد تساوى الرجال والنساء في عدم الكفاءة)، نحن بحاجة إلى امرأة قادرة على التغيير، تغيير نفسها وواقعها، وذلك لن يحدث إلا بعد أن تصبح المرأة صانعة قرار، لنفسها ولمجتمعها.

وحينها سنتحدّث عن امرأة رئيسة وزراء!!

❊❊❊

(٢٤)

سُمّ الفأر

كانت في مقتبل العمر، حسناء في السادسة عشرة من عمرها.. تحمل حقيبتها يومياً لتحلم كغيرها من الفتيات بعالمٍ جميل يمكن أن يكون مستقبلها.

وفي لحظة غفلة من الزمن، تأتي إحداهن تمشي على جهلٍ لتُقنع الأم الفقيرة المسكينة بأنّ خير فتاتها وخيرها يكمن في تزويجها من (فلان) فهو قادر على تأمين حياةٍ كريمة لها فما فائدة العلم والمدرسة، والبنت خُلقت للزواج (وحديث يطول تَبرُع فيه النسوة كثيراً).

وتزوّجت تلك الفتاة الصغيرة من رجل يكبرها بعشرين عاماً!! لأنّ الزواج فرصة لا تُعوّض!!

تمرّ الأيام سريعاً.. بعد ١٠ أشهر، يتّصل الزوج بالأم ليخبرها بأنّ ابنتها في المشفى تموت!! يبدو أنّ الفتاة قد عمدت إلى شرب (سم الفأر)!!

لم تمت (حسناؤنا)، بل أصيبت خلايا دماغها بالشلل، وتحوّلت إلى كائن مشلول، ضعيف مختلّ الحواس، فاقدٍ لها!!

يا ترى، ما الذي دفع الفتاة الحسناء وهي في مقتبل العمر إلى تناول (سمّ الفأر)؟!

وكيف عرف الزوج وأهله بأنها تناولت سمّ الفأر؟!

ما هي الحالة التي كانت تعيشها المسكينة حتى أقدمت على هذا الفعل؟! أو دعوني أتساءل بجرأة أكثر: ما الذي حدث لكي تُقدِم على هذا الفعل؟ إن أقدمت فعلاً هي عليه؟!

تتساقط دموع الأم وهي تتحدّث عن مأساة ابنتها الصغيرة: (أخبروني الجيران بأنّ أهل زوجها كانوا يضعون الملح في عيونها.. وأنهم كانوا يضربونها، هو وأهله.. ولكن هي لم تكن تخبرني بذلك، والجيران بعد موتها فقط بدأوا يتحدّثون بهذا الأمر)!!

الجيران.. كانوا يعلمون بمعاناة هذه الفتاة المسكينة.

وجيرانٌ آخرون في مكان آخر، كانوا يعلمون بأن جارهم الرجل يضرب زوجته باستمرار وأنّه فقأ عينها ذات مرة، كانوا يعلمون بذلك، وقد سمعوا صراخها وهو يضربها بالسلسلة الحديدية.. ولكنّ أحداً منهم لم يحرّك ساكناً.. حتى قتلها ذات يوم في مسمع الجيران وأمام مرمى أعينهم!!

وعندما سألناهم: لماذا لم تحرّكوا ساكناً.. لماذا لم تفعلوا شيئاً؟

كانت الإجابة: هو يملك رشاشة ونخاف أن يرمي علينا إذا تدخّلنا!!

لا يظنّ أحدكم بأنّي أروي له حكاية من حكايا شهرزاد

في (ألف ليلة وليلة)، ولم آتِ بها من ملفات شرطة المريخ.. إنّها حكايا الوجع في أزقّة مدينتي، وحاراتها الضيقة المتعبة، المغمّسة بالنسيان والعوز والجهل والخوف.. الخوف الذي يحاصر كلّ ما حولنا فيحيله إلى صمتٍ مخيف.. صمت شريك في الجريمة!

نعم، صمت مجتمعنا على ما يرى من ظلم وعنف ضدّ المرأة، هو أكبر جريمة يجب أن تُعرض أمام القضاء ويُحاكم عليها.

الصمت، أقبح صوت يمكن أن يُعزف ليصمّ آذان الآخرين!!

يا ترى كم بالصمت، صمتنا كمجتمع، تسبّبنا في قتل الآخرين وخاصة قتل الفتيات والنساء.. قتل الحرية والكرامة.. قتل الحياة في نفوس بريئة طاهرة لم يكن لها ذنب سوى أنّها خُلقت (أنثى)!!

إنّ صمت المجتمع، وما يشكّل من أعراف وعادات وتقاليد من أكبر العوامل التي تساهم في زيادة العنف ضدّ المرأة، وتسهيل عملية الاعتداء عليها وعلى حقوقها أو الاستهانة بتلك الحقوق.

فلا فائدة من قوانين أو قضاء أو أيّ سلطة يمكن أن تشرّع لحماية المرأة، في وسط مجتمع يسكت على الظلم، ولا يرفض الجريمة بل يبرّرها، ويساعد على انتهاك حقوق أفراده بناءً على التمييز في النوع الاجتماعي حسب ميزان القوى التي تتحكم في مصائرنا.

عندما يصمت المجتمع... ترتفع نسبة انتهاك حقوق المرأة وتضيع كرامتها وتصادر حياتها.

في حين أنّ إسلامنا العظيم، علّمنا أن نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، وأيُّ منكر أعظم وأكبر من انتهاك حقوق الإنسان، وخاصة حقوق المرأة باعتبارها المخلوق الرقيق والجميل.. المخلوق الذي يصنع الحياة، فمن يعتدي على حقوقها فكأنما اعتدى على صانع الحياة.. ومن لا يحترم حقَّ أهل الأرض، فكأنّما اعتدى على ربِّ الأرض.

فأيّ عقوبة ننتظر من ربّ الأرض وواهب الحياة؟!

❊❊❊

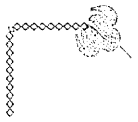

(٢٥)

أرملة

توفّي زوجي وأنا في الخامسة والعشرين من عمري، تاركاً لي صبيّين صغيرين.

حرصتُ كثيراً على أن أكون لهما أمّاً وأباً، وكرّست حياتي لهما.

تقدّم لي العديد من الخاطبين، ولكنّي رفضتهم وأنا في ذلك العمر الصغير، لأنّي كنت أفكّر في ولدايّ الصغيرين وكيف يمكن أن أربيهما أحسن تربية وأوفّر لهما مستلزمات الحياة الكريمة.

وكان آخر مَنْ تقدّم لخطبتي بعد عشر سنوات من وفاة زوجي، وعمر ابني الكبير كان حينها سبعة عشر عاماً، شعرت حينها بأنّي مهيّأة للارتباط مرة أخرى، فولداي أصبحا كبيرين، وقد استطعت أن أكوّن لهما مستقبلاً جيداً وأن أربّيهما تربية جيدة.. وكان رجلاً مناسباً لي فعلاً، كان زميلي في العمل، توفّيت زوجته قبل ثلاثة أعوام وكانت له فتاة واحدة في الخامسة عشرة من عمرها.. كلّ الظروف كانت مؤاتية ليكون زواجاً مناسباً ومتكافئاً.. وكنتُ حينها أشعر فعلاً بحاجتي إلى رجلٍ يقف معي.. ويملأ عليّ فراغ الحياة.

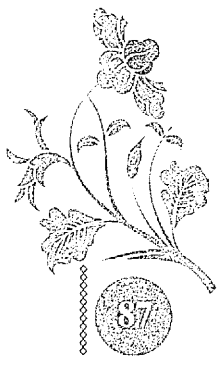

ولأكون أكثر جرأة أيضاً، كنت معجبة به، وربّما وصل الأمر إلى بداية ما يُسمّى بـ (الحب)، لا أدري إن كان يجدر بي أن أقولها، ولكن ذلك كان واقع مشاعري تجاهه.

وإذ بي أتفاجأ برفض ابني الكبير، وعباراته التي وجدتها أكبر من عمره وأقسى من أن تُقال لأمّ.

- كيف تفكّرين بالزواج وأنت في هذا العمر؟! (كنتُ حينها في الخامسة والثلاثين).
- كيف يمكن للمرأة أن تفكّر بالعيش مع رجل آخر غير رجلها الأول؟ (وكيف يمكن للرجل أن يفعل ذلك، لو كان أبوه مكاني الآن هل كان يصبر ١٠ سنوات، أم كان سيتزوّج ربما قبل انقضاء عام واحد)؟
- كيف سأواجه الناس، أصدقائي إذا سمعوا أنّكِ تزوجت؟ (وهل ما أفعله خارج إطار الشرع أو حتى العرف الاجتماعي؟ هل يستنكف ابني مني؟ وأنا التي قضيت شبابي لأجله، ولم أبخل بأيِّ شيء لأجل توفير راحته وراحة أخيه وسعادتهما؟).
- سأخرج من البيت وأعيش في بيت جدي إن تزوجتِ؟ (هذه مكافأتي من ابني؟).

بعد موقف ابني هذا، أدركت معنى أن تكون (امرأة) في مجتمع يسوده الفهم الذكوري العشائري..

وهذا ما أكّده لي أبي عندما زارني بعد أيام من ثورة ابني: (عزيزتي، انا لست ضدّ زواجك مرّة أخرى.. ولكنّي أريدك أن

تفهمي بأنّنا نعيش في مجتمع قَبَلِيّ، يحكمه الرجل بقبضة من حديد، وأنا رجل ولكنّي أقولها بصدقٍ أمامك ربما لأنّكِ ابنتي أعترف أمامك بهذا الحديث، نحن معشر الرجال نرى المرأة مُلْكاً لنا، سواء كانت ابنة أو أختاً أو زوجة أو حتى أماً، وخاصة إذا كان الموضوع يتعلّق بالجسد، لذلك ابنك يرى فيك جسداً خاصاً به، امرأة له وحده، ترعاه وتحبّه وتقضي وقتها لأجله هو فقط.. هو يرى جسدك ملك أبيه فلن يرضى لأحدٍ أن «يدنّس» ذلك الجسد.. هو يريد قلبك أن ينبض بحبّه هو فقط، ويريد أن يكون اهتمامك له هو فقط.. وأنا أعرف بأنّ هذا الأمر قد يكون قاسياً عليك، ولكنه الواقع.. ولا يمكن أن نخرج عن واقعنا.. أنتِ يمكنك أن تتزوجي وأن تعيشي الحياة التي تريدين، ولكنّك ستخسرين ابنك، هو اتّخذ قراره مع أخيه، بأنهما سيذهبان عند جدّهما لأبيهما يعيشان معه إنْ تزوّجتِ).

لا أدري أيّهما أوجعني أكثر، موقف ابني أم اعترافات أبي.. في كلِّ هذه المعادلة لم يفكّر أحدهم بي أنا، كإنسانة، كامرأة.. لم يفكّروا بماذا أريد أنا؟ بماذا أفكّر؟ كيف يمكن أن أقضي ما تبقّى من العمر؟! لم أكن جزءاً من معادلة الحياة.

زوجي الراحل، وولداي، وأبي، هم من شكّلوا معادلة الحياة.. ماذا يريدون هم؟ كيف ينظرون إلى الأمور؟ ماذا يزعجهم ويغضبهم؟! ماذا يريد المجتمع وكيف يفكّر؟

هذه هي مكوّنات معادلة الحياة.. أما أنا.. وغيري من بنات جنسي الكثيرات، لم يكن لنا أيّ دور في هذه المعادلة ولا حتّى

إشارة صغيرة.

أنهيتُ الموضوع، وأخبرتُ الطرف الآخر بأنّي لا أملك الشجاعة لمواجهة ذكوريّة مَنْ حولي، تلك الذكوريّة التي أغلقت رائحتها مسامات الحياة في رئتيّ ولم أستنشق بعدها أيّ شيء.

ومرّت الأيام كسوابقها.. ولكنّي لم أعد كسابقتي.

كبرتُ الآن، وأنا أُشرف على العقد الخامس من عمري، تزوّج أولادي، وأصبح لكلّ واحد منهما حياته المستقلّة، رفضت الزوجات أن يسكنّ معي، واستقل كلّ واحد منهما في بيته الخاص، يأتونني كلّ يوم جمعة لتناول الغداء معي.. وأبقى بقية الأيام وحدي.

تنهش الوحدة غربتي!

وأتساقط كلّ يوم، ورقة خريف يخدش حفيفها مسامع المارّة!

وعندما أُلقي بجسدي (غير المتعب)، على الفراش أتساءل: إلى أيّ مجتمع ننتمي نحن؟! أما كان الأجدر بنا أن نحذف كلمة مسلم من هوية الأحوال المدنية خاصتنا؟! لا أعتقد بأنّنا نجسّد مفردات الإسلام كما جاء بها رسول الله ﷺ، نحن نحيا بقوانين البادية والعُرف العشائري الذي يسكن عقولنا قبل أجسادنا؟!

ألم تكن النساء في زمن رسول الله ﷺ يأتين إليه وهو جالس في المسجد (الديوان الرسمي للدولة آنذاك) وبحضور الناس

والصحابة وتقول إحداهن: (زوِّجني يا رسول الله).. فيقبل الرسول منها هذا الطلب، ويلتفت إلى الصحابة ويسألهم أيّهم يخطبها.

لأنّه كان يتعامل مع حاجات الناس الطبيعيّة بشكل طبيعيّ.. وكانت للنساء حقوق كما للرجال حقوق، وكانت لهنّ حياة كما للرجال حياة.

النساء اليوم يدفعن ثمناً باهظاً من حياتهنّ الخاصة والعامة باسم الدين.

الرّجال يشرعنون سلطتهم الذكورية، ليكسبوا طاعة النساء وخضوعهن.

يا ترى هل هذا يرضي اللهَ ورسولَه؟!

ولماذا تخلو منابر الوعّاظ ورجال الدين والخطباء من مواضيع كهذه؟

إلى متى يبقى جسد المرأة (ملكاً) للرجل، كما حياتها؟!

***

المرأة الصالحة
وممارسة كلّ طقوس العبوديّة

(من أروع ما قرأت في معنى كلمة (القرآن)، أنه الكتاب الذي يقرأه الله ورسوله والناس.. يقرأه الناس كي يتعلّموا منه إذا أخذنا معنى القراءة بحرفيّته ودلالاته).

هذا ما بدأ به واعظ المنبر محاضرته.. وأخذ يسترسل بالكلام بضرورة أن نقرأ القرآن دوماً وأن نتدبّر معانيه..

ولأنّ هذا الواعظ كان أبي، فسألته ليلاً عندما كنا نتحلّق حول مائدة العشاء: أبي لقد أعجبني اليوم حديثك عن مفهوم قراءة القرآن والتدبّر في معانيه، وحقيقة إنّي أصادف التناقض الكبير بين معاني القرآن وما يرمي إليه وبين سلوكيّاتنا على أرض الواقع.

وضع أبي لقمة في فِيه، وقال: مثل ماذا؟

اعتدلتُ في جلستي وبدأت أضغط على مخارج الحروف لكي أعطيها أهميتها: مثل الآية المباركة: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ...﴾ [التحريم: ١١] ﴿ضَرَبَ اللَّهُ

مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ..﴾[التحريم: ١٠] الله فـي قرآنه العظيم، يخبرنا بأنّ المـرأة الصالحة المؤمنة هي قدوة لكلّ المؤمنين من الرجال والنسـاء، كمـا أنّ المرأة الطالحة هي قدوة للكافرين والطالحين من النساء والرجال.. يعني هنا يطرح المرأة كقدوة وأنموذج يُحتذى به من قبل الرجال والنسـاء.. ألا ترى هذا عظيماً؟

بلـع أبـي ريقه، وكان ذكيـاً.. فقد أدرك مـا أروم إليه، ثم قال: وماذا تريدين الآن؟

قلـت له بذات اللهجة الآنفة: لماذا تجعلون المرأة دوماً تابعاً للرجـل، ولا تقبلون بها قدوة؟ لماذا تعتقدون أنّكم الأفهم دوماً منهـا وأنّ القيـادة بيدكم أنتم، حتى في تفاصيـل حياتها الخاصة جداً.. لماذا تجعلون من الذكور أسـياداً ومن الإناث عبيداً.. لم يقل القرآن هذا.

نظـر إليّ أبي طويـلاً، ثم قال وهو يضغـط مثلي على مخارج الحروف ليكسبها أهمية: لا أدري ماذا تقرأين يا فتاة.. ولا أعلم مَـنْ ترافقيـن.. ولكنّي أحـذّرك مـن الخوض فـي تفاصيل هذه الأمور، فهي قد تجرفك إلى الشرك والعياذ بالله.

نظرت إليه مندهشة وقلت: الشرك؟! ما علاقة الشرك بما قلته يا أبي؟

أبـي مصرّاً على أحقيـة ما يقول: لأنّ الإمـام عليّاً عليه السلام قال مؤكّـداً حقيقة كبـرى في ذات تكوين المـرأة وخلقتها: ناقصات عقـل ودين وحظ.. فكيـف لناقصات العقـول أن يكنّ قدوات،

وكيف لناقصات دين أن يكون لهنّ دور قياديّ في المجتمع، وكيف لناقصات حظّ، ان تكون لهنّ مكانة وحظوة في المجتمع؟

أحسست بنيران تلتهم قلبي، وتكاد تلجم لساني، فقلت بوهنٍ موجع: أبي أنا دليلي القرآن ودليلك حديث ضعيف السند ولا يمكن أن يصدر عن أمير المؤمنين.. كيف له أن يناقض القرآن.. كيف لك أن تجعل من حديث مرويّ بطريقة غير مسندة دليلاً..

أشار أبي بيده لأسكت وقال بحدّة: من أخبرك بأنّه حديث غير مسند.. هل ستخالفين المشهور من الحديث وما أقرّه وصدّقه ملايين الناس من غابر الأزمان.. هل ستخالفين ما تآلف عليه الناس، وأقرّوه في حياتهم.

قلت له بصوت حاولت أن أجمع فيه بين البِّر وبين المواجهة: أفهم من ذلك أنّك تطلب منّي أن لا أصدّق القرآن وما جاء به.

نهض أبي وهو يخاطب أمي: لقد أخفقتِ في تربية فتاتك..

نظرت إليّ أمي نظرة عتب وقالت: أما تستطيعين كبح جماح لسانك.. لا طاقة لنا بالمشاكل.

لم أكن أفهم كيف يمكن لي أن أضبط لساني.. هو مَنْ علّمني بأنّ القرآن كلام الله وهو سيد الكلام..

ولم أكن أعلم بأنّ ذلك كان آخر موقف لي مع أبي..

لم تسنح الفرصة لمحاورته ثانية..

فبعد أسبوع، جاءتني أمي لتخبرني بأنّ أبي قد زوّجني لرجل

مـن طَلَبتـه في الحـوزة، وأنّ عليّ أن أنتقل لبيتـي الجديد خلال أيام قلائل.

أنـا الآن، جاريـة فـي بيـت أحدهـم، أمـارس كلّ طقـوس العبودية.. وأُحْرَم من كلِّ فعاليات الحياة وأوّلها القراءة..

وعنـد أول مبـادرة للرفـض أو الاعتراض، جاءتنـي صفعة.. ليـس من زوجي بل مـن أبي الذي اعتبر رفضي لما يريده زوجي أو اعتراضـي على رأيه، خروجاً عن الجادة فالمرأة الصالحة مَنْ تطيع زوجها في كلِّ ما يريد، حتى وإن كان فيه غضب الله.

لأنّ المرأة الصالحة ـ في عرف المسلمين ـ من يكون زوجها هو الربّ، والله هو الخالق الذي يسكن السماء.

وأنا يجب أن أكون أُولى الصالحات.

***

الأميرة:
عذراً يا رسول الله إنهم يكذبون عليك

عندما كنت صغيرة، كان أبي يجلسني على ركبتيه ويهمس في أذني: أنتِ أميرتي.

وكبرتُ وأنا مؤمنة بكلِّ جوارحي، بأنّي أميرته.

وعندما تقدّم أحدهم لخطبتي.. وجرت كلّ الطقوس المتعارف عليها في هذا الشأن، وبعد أن تيقّن أبي من خُلُقه ودينه وكلّ الأمور الأخرى، أخبرني هامساً أيضاً: لو كان الأمر بيدي لأبقيتك العمر كلّه معي، ولكنّها سنة الحياة يا بنيّتي.. هذا شاب مكتمل الأوصاف، يمدحه الناس.. ومن عائلة طيبة، ستكونين أميرة في بيته.

أبي الذي كنتُ أميرته، كان عاملاً بسيطاً في أحد المصانع، كان يعمل بدوامين لكي يؤمّن معيشتنا أنا وبقية إخوتي الخمسة.. لأكثر من مرة وضعته الأقدار أمام خيارين، أن يحرم أولاده من التعليم أو أن يضغط على نفسه ويعمل ساعات عديدة تفوق قدراته حتى يستطيع تأمين مصاريف تعليمنا.. وكان يختار

دوماً أن نبقى نتعلم.. حتى فقد صحّته ولكنّه منحنا جميعاً سلاح العلم.

أبي الذي كنت أميرتَه، وضع يدي بيد الشاب الغريب في اللحظات التي سبقت مغادرتي بيتي الذي وُلِدت فيه ونشأتُ فيه وتعلّمتُ فيه أبجديات الحياة، وقال له ودموعه تسبق كلماته: هذه أمانة الله بين يديك.. هي أميرتي فاجعلها أميرتك.

كان أبي من الرجال القلائل الذين يحبّون الإناث في حياتهم.. كنا خمس بنات، وكنّا جميعاً أميراته.

لم يصادف أن خاطب أمي يوماً بكلمةٍ نابية أو جرح مشاعرها.. كان ملكاً بكلّ معنى الكلمة.

ولكنّ زوجي لم يحفظ أمانة أبي.

لم يكن يسمح لي بالذهاب إلى بيت أبي باستمرار، في بداية زواجنا، سمح لي بالذهاب كلّ شهر مرة.. وبعد ذلك تباعدت الأيام حتى أصبحت في الأعياد..

وكانت أمّه تبرّر له ذلك قائلة: الفتاة إن تزوّجت، أصبح زوجها هو كل حياتها.. عليها أن تعطيه وقتها ومالها وحبّها وجهدها.. وبذلك تنال الجنة.

لم أكن أعرف حينها كيف يمكن أن أنال الجنة.. ولم أكن مقتنعة كذلك بما كانت تقوله عمّتي (الحَمَاة).. كيف يمكن أن أَلِجَ الجنة، وأنا قاطعة رحم أهلي وخاصة أمي التي ولدتني وأبي الذي ربّاني وأفنى عمره لأجلي.

بعد ثلاثة أعوام من زواجي، اتصلت بي أختي وأخبرتني بأنّ أبي مريض جدّاً وعلينا أن نجري له عملية جراحية لقلبه، سينقلونه خارج العراق.. وأخبرتني بأنّهم يجمعون له المال، هي وبقية إخواتي وساهم بعض الأرحام ببعض المبالغ.. وطلبت مني المساعدة.

كنتُ أعمل موظفة، بفضل أبي وما تَعِبَه عليّ حيث أوصلني إلى الجامعة والتخرّج لكي أكون موظّفة صاحبة راتب.. ولكنّه لم ينل من ذلك الراتب أيّ درهم.

لم يكن في حوزتي أيّ مبلغ، لأنّ راتبي كان يأخذه زوجي، ليصرف على البيت، فالزوجة كما تقول عمّتي ويقول غيرها: هي وما تملك لزوجها.

أخبرته بمرض أبي، وبأنّه يتوجّب عليّ أن أساهم في مصاريف علاجه، لم يوافق: أنتِ تعلمين بأننا نجمع درهماً فوق درهم حتى نستطيع أن نوفّر مبلغاً نشتري به بيتاً مستقلاً ونغادر بيت أهلي.. لو استمرّينا على هذا المنوال خلال عامين سيكون لنا بيت، أما ترغبين في بيت مستقل؟!

قلت له ودموعي تسبق كلماتي: أرغب بذلك بكلِّ تأكيد، ولكنّي أرغب أيضاً بمساعدة أبي.. لولا أبي وتضحياته وتعبه وصحّته لما تمكنت من إكمال تعليمي وأن يكون لنا راتب الآن تجمعه.

أغضبت عبارتي الأخيرة، زوجي، فقال صارخاً: هل تعيرني براتبك؟

لم أشأ أن أغضبه، فهذه ليست من شيمة المرأة الصالحة، فقلت بوهن: لا والله، ليس هذا قصدي.

نهرني وهو يغادرني: خذي راتبك واذهبي لأبيك ولا تعودي.

نظر إلى ابني ذي العامين، وهو يتابع: لوحدك تغادرين.

وليلاً، تدخّلت أمه بحنان وهي تقول: لا يمكن للمرأة أن تهجر بيتها وتخربه لأجلِ أبيها، أبوكِ لن يرضى بهذا، والله أيضاً لن يرضى بهذا.. رسوله أمر المرأة أن تسجد لزوجها حيث قال: (لو أمرتُ أحداً بالسجود لأحد لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها).. أبوك سيرسل الله له مَنْ يعينه ويساعده.

وبكلّ غباء العالم، استمعت لها.

وبكلّ غباء العالم.. لم أرسل لأبي درهماً واحداً.

ولكنّي رجوته وتوسّلت إليه أن يجعلني أذهب لرؤيته، وكان كريماً معي إذ سمح بذلك.. ولكن جاء ذلك متأخراً.

فعندما دلفت البيت، كان أبي يودّع أمي وأخواتي..

كانت نظراته الأخيرة لي.. ويا ليتني لم آتِ لرؤيته في تلك اللحظة.

كانت عيناه تنظران إليّ بعتب ممزوج بالشوق، أعرفه جيداً وأعرف ماذا تقول عيناه.

ولكنّه ابتسم لي.. رغم جفائي، رغم عدم سؤالي عنه، رغم نكراني لجميله، كان يبتسم لي.

مات أبي.

لم أعانقه كما يجب.. لم يفرح بابني كما يجب.

لم أساعده وأردّ له جزءاً من دَيْنه الذي في عنقي..

لم أخبره كم أنا حزينة.. وضعيفة..

أبي الذي كنت أميرته، رحل دون أن أخبره بأنّي لم أعد أميرة.

وعندما عدت إلى بيتي بعد أن انتهت أيام العزاء، قرّرت أن أخصّص مبلغاً من راتبي لأمي، كي أعينها على مصائب الدهر وأن لا أضيّعها كما ضيّعت أبي..

ولم أسأله الموافقة، قلت له وكان جرحي منتصباً: من الشهر القادم سأخصّص مبلغاً لأمّي أرسله لها بانتظام، وسأكون عندها كلّ يوم جمعة.

نظر إليّ وحاول أن يتكلّم فقلت له: دعنا نقم بذلك حتى يبارك الله لنا في ابننا.. والبطن الذي حملت بي لا تفرق كثيراً عن بطن أمك التي حملتك.. فإن قطعت رحمي فالأَولى أن تقطع رحمك أنت أيضاً.. أن نغادر هذا البيت، ولا نرى أمك ولا أمي.

قال: هل هذا تهديد؟.

قلت بمنتهى الهدوء وصورة أبي المريض تملأ عليّ الفراغ من حولي: بل هو اتفاق.

صمت برهة من الزمن، ثم قال: اتفقنا.. كم ستعطين أمك؟

أجبته: المبلغ الذي تعطيه لأمّك كلّ شهر.

عندما كنت أضع بيد أمي شهرياً ذلك المبلغ البسيط، كنت أرى شبح ابتسامة تتراءى لي من صورة أبي المعلّقة على الجدار..

أعذرني يا رسول الله، لا يمكن أن أصدّق بأنّك تأمرني بأن أقطع رحمي لأجل رجل.

أن أعقّ أبي وأمي لأجل رجل غريب.

أن أنكر فضل أمي وأبي، لأجل رجل جاء ليأخذني امرأة بالغة لم يتعب عليها ولم يصرف عليها مالاً ولم يسهر عليها.. جاء ليمتلكها ويمتلك حياتها..

كيف يمكن له أن يحرمني من أبي وأمي ويقطع رحمي؟

هل تأمر أنت بقطع الرحم؟

كيف تسمح لهم بأن يتحدّثوا بلسانك، ويستعبدوننا باسمك.

عذراً يا رسول الله، سيبقى قلبي ينزف دماً لأنّي لم أبرّ بأبي، ولم أكن عوناً له، ولم أمنحه ولو السعادة بوجودي قربه آخر أيام حياته وهو الذي لم يبخل بأيِّ شيء قليله وكثيره لي ولأخواتي...

عذراً يا رسول الله.. سأخبر الجميع بأنّهم يكذبون عليك.

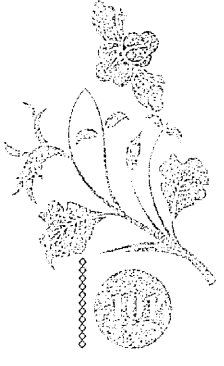

***

(٢٨)

شرف العائلة

في بعض الأحيان يكون الجمال وبالاً على صاحبه.

وخاصة بالنسبة للفتيات، ولأسباب عديدة.

منهـا ما حدث لابنـة خالتي... الفتـاة الحسـناء ذات الثماني عشرة سنة.

كنا جميعاً ـ فتيات العائلة ـ نحسدها على جمالها وقدّها وكلّ التفاصيـل الصغيـرة فيهـا والتي تثير فينـا نحن الفتيـات الانبهار فكيـف بالشـباب.. وكانـت علـى الرغم مـن جمالهـا الصارخ، تسـعى إلى الاحتشـام والعفّة دوماً في اختيار ملابسـها ومشيتها وسلوكها الاجتماعي على اختلاف نظيراتها الجميلات اللواتي يسعين لإبراز ذلك الجمال ويغترن به.

ابنـة خالتي، كانت فتاة هادئة ومهذّبـة، نحبّها جميعاً رغم أنّنا نغار من جمالها.

ذات يـوم، تلقّت أمـي هاتفاً غريباً عند الغـروب.. اصفرّ لون أمّي ثم اخضرّ ثم أسـود، لطمت على وجهها وهي ترمي سماعة الهاتف.

ومن ثم أجهشت بالبكاء، وبصعوبة فَهِمْنا ما حدث.

ابنة خالتي الحسناء، لم تعد إلى البيت من الظهر، خرجت من مدرستها ولم تعد للبيت، وهم يبحثون عنها الآن في كل مكان دون جدوى.

مضى على ذلك ثلاثة أيام.. ولم تعد (ميساء) للبيت.

كادت خالتي تموت حزناً وفزعاً عليها، حتى عادت ميساء بغير حال.

لقد اختطفها مجموعة شباب واعتدوا عليها.. وضعوها في بيت منعزل خارج المدينة، كانوا أربعة..

وضعوها أمام باب بيت أهلها، وانصرفوا.. كانت ميساء شبه فاقدة للوعي..

ميساء كانت يتيمة الأب، إخوتها الثلاثة رفضوا الاتصال بالشرطة وإخبارهم، رفضوا أخذها للطبيب، اتّصلت خالتي بطبيبة من قريباتنا التي جاءت إلى البيت وقدّمت المساعدة بعد أن أخذ منها الإخوة أغلظ المواثيق على أن تبقى زيارتها للبيت سراً لا يعلمه أحد.

توسّلتُ لأمي لأن أذهب وأكون معها، كنت أكبرها بخمسة أعوام.. وأحبّها كثيراً رغم أنّي لا أنكر كم كنت أحسدها على جمالها ورقّة جسدها وخلقها معاً.

ورغم إصرار أمي وخالتي على أن أبقى معها في الغرفة، رفض إخوتها ذلك، وسمحوا لي بالبقاء في البيت فقط دون الدخول إلى غرفتها.

كان هناك حصارٌ على تلك المسكينة التي لا ذنب لها سوى

أنّها كانت (جميلة) تعيش في مجتمع وحشيّ ظالم.

تكمن وحشيته فيمن اغتصب منها عذريّتها وحياتها كما تكمن في موقف إخوتها ممّا حدث.

أخبرت ميساء أمّها بهوية الشباب، ذكرتهم بالأسماء هم أبناء الحيّ.. عرفتهم واحداً واحداً، ونقلت الأم أسماءهم إلى الإخوة، وتدخّلت أنا لأؤكد على ضرورة تقديم شكوى ضدّهم.. على المجرم أن يأخذ عقابه.

نعم، على المجرم أن يأخذ عقابه، لأنّ مَنْ أمِنَ العقاب أساء الأدب، فمن لم يعاقب على جريمة اقترفها، سيقوم بارتكابها ثانية وثالثة وعاشرة.. عدم محاسبتنا للمجرم، إجازة له باستمرار إجرامه.. وأيّ جريمة أقبح ممّا حدث.

نهرني أبناء خالتي وطلبوا مني أن ألتزم الصمت إن أردت البقاء في بيتهم.

تحمّلت الإهانة، وتحمّلت كلّ الظلم الذي كان يجري أمامي.. لأنّي كنت أريد أن أكون بقربها..

ولم يمضِ الحال على ما هو عليه طويلاً..

فبعد أسبوع، توفيت (ميساء)، وجدناها صباحاً ميتة في فراشها وخرج تقرير الطبيب الشرعي بأنها نوبة قلبية مفاجئة.

ماتت ابنة خالي، كما تموت الآلاف من الفتيات الصغيرات بصمتٍ وهدوء.

وتلقّينا التعازي..

وما زال الشباب الأربعة يجوبون الطرقات.. وربما يصادرون

حياة فتيات أخريات.

إلى أي شريعة ننتمي نحن؟!

وأي قانون يحكمنا؟!

ومن الذي قال بأنّ الفتاة هي المسؤولة عن شرف العائلة بمفردها؟!

أليس الأولاد الذكور أيضاً مسؤولين عن ذلك الشرف؟!

كيف يمكن أن اختزل شرف عائلة بجسدٍ ضعيف لفتاة مسكينة لا حول ولا قوة لها؟!

إلى أي مجتمع ننتمي نحن؟! يحاكم الضحية البريئة ويقتلها ويترك المجرم حراً طليقاً، لا لشيء سوى أنّها أنثى وهو ذكر.

لم أدخل لبيت خالتي بعد ذلك اليوم، ولم أتحدّث مع أبنائها أبداً.

وحقدت على نفسي بأنّي جزء من تلك العائلة.. وجزء من ذلك المجتمع.

ماتت خالتي بعد ابنتها بعامٍ واحد، ودُفنت بالقرب منها.

ولم أعد من حينها، أحسد أيّ فتاة على جمال جسدها.. أمسيت أدعو لها بأن يبعد الله عنها أولاد السوء..

وأيقنت: أن نكون (إناثاً) في مجتمعنا، مسؤولية كبرى تحمّلنا إياها الأقدار.

❊❊❊

وينمو الحبّ

الحبُّ هو ديناميكة الحياة الحقيقية الواعية التي تنتج لنا الأمل والخير والفضيلة والبناء والعمل وكلّ مفردات العيش الإيجابية، الحبّ الذي يجعلنا نتواصل مع الآخرين بأحسن الطرق: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[آل عمران: ١٥٩]، لم يكن رسول الله فظّاً، لأن الحبّ الذي يسكن قلبه لم يجعله غليظاً.. ولذلك أحبّه الناس سواء آمنوا به نبياً أم لم يؤمنوا.

الحبُّ الذي يجعل تواصلنا مع الآخر، مدعاة لبناء الثقة معه، وبالتالي الاطمئنان به ومنه.

الحبُّ الذي يجعل من الناس، يتكافلون بينهم اجتماعياً واقتصادياً، ويتوادّون ويتراحمون ويسامح أحدهم الآخر ويعفو عنه.. ويواسيه في أهله وماله.

لذلك كان الحبّ، خيط العقد للقيم الإنسانية، ولذلك كان هو الدين، ديننا هو الحبّ، كلّما زاد حبنا للناس، كلّما زاد ديننا.

فهل واقعنا كذلك؟!

في بعض الأحيان، يراودني إحساس بأنّ الكلّ عاجز عن الحبّ، بدليل أنّنا نفتقر إلى مؤشّراته على أرض الواقع. مؤشّراته في التواصل والثقة والاطمئنان والتكافل الاجتماعي والتسامح والتعايش السلمي ونبذ العنف والكراهية وتقبّل الآخر.

نحن عاطلون عن الحبِّ! عاطلون عن الحياة!!

قد يقول قائل: ولكن الآباء يحبّون أبناءهم؟ والأزواج يحبّون زوجاتهم؟ والأشقّاء يحبّون أشقّاءهم؟ وهكذا...

نعم، ولكنّه حبّ جامد!

فالحبُّ نوعان: حبٌّ جامد وحبٌّ حيّ، حركيّ.

الحبّ الجامد هو الحبّ الذي لا ينفع أصحابه، المحبّ والحبيب، ومثال ذلك الأم!

فالأم التي تربي أولادها على حبّ أنفسهم فقط، على الأنانية والتفكير بذواتهم فقط دون التفكير بالآخرين والتحسّس بمعاناتهم أو مشاعرهم.. الأم التي تربّي أولادها على أن يعيشوا في نطاقهم الخاص وعالمهم الضيّق، بحيث لا يهتمّون إلا بأنفسهم وبشأنهم الخاص، تكون بذلك جمّدت الحبّ في دواخلهم، لأنّ هذا الحبّ لم يخدمهم ولم يجعلهم أفراداً صالحين يفكّرون بالآخرين ويتحسّسون معاناتهم ويشاركونهم همومهم، لا يعرفون ما يُسمّى بالتكافل الاجتماعي أو خدمة المجتمع أو تقديم خدمة للناس، مثل الأم التي تهيىء (سندويشة) لابنها وهو ذاهب إلى المدرسة، تقول له: احرص عليها ولا تعطِ لأحد، كُلْ أنت فقط، أو تقول له: يجب أن تكون

أنت أشطر واحد في الصف، لا يسبقك أحد إلى النجاح، أو تقول له: أنت أحسن الناس.

هي تحبّه، ولكن حبّها من النوع الجامد، جمّده عن الحركة والإبداع والنمو، نموّ عقله الذي يفكّر بالآخر، نموّ مشاعره التي تتحسّس الآخر، نموّ روحه التي تسمو مع الآخر. واللطيف في الأمر أن هذا النوع من الأمهات هنّ اللواتي يدفعن الثمن دائماً، عندما يكبر الزمن فيهنّ ويعجز أولادهن عن البرّ بهن أو التفكير بهن أو الإحساس بهن، لأنّهم غير قادرين على ذلك، فحبّهم تجمّد، وتجمّدوا معه. وما أكثر هؤلاء من حولنا.

أما النوع الآخر من الحبّ، وهو الحبّ الحيّ (الحركيّ)، فهو الحبّ الذي يجعل أصحابه (المحبّ والحبيب)، يكبران معه، يتمدّدان به، ينتشران من خلاله.

مثال ذلك: الأُم التي عندما تهيّىء (سندويشة) لابنها وهو ذاهب إلى المدرسة، تهمس في أذنه بحنان: اقسمها مع زميلك إذا لم تكن لديه (سندويشة)، أو تقول له: أنت شاطر في الرياضيات، ساعد زملاءك الضعاف وعلّمهم كيف يفهمون الرياضيات مثلما تفهمها أنت. أو تقول له: قبل أن تأتي أيام العيد، هل من زملائك يتيم أو فقير حتى نشتري له ثوباً جديداً عندما نشتري لك. الفرق واضح وكبير بين الأُمّيْن، كلاهما أُمّ، وكلاهما تحبّ ابنها وتتعب في تربيته وتضحّي لأجله.

ولكن الأُمّ الثانية، حبّها حيّ، ينبض بالحياة، حبّها يتمدّد ليشمل ابنها والآخرين، وبالتالي سيكبر ابنها مع هذا الحب

ليصبح كبيراً بعقله الذي يفكّر بالآخر، وقلبه الذي يحبّ الآخر، وروحه التي تسمو بالآخر.. فيكون قادراً على أن يحبّ أفراد مجتمعه، ويعمل لأجلهم، ويتعب لخيرهم، ويضحّي لوطنه وناسه..

هذا الحبّ، هو الذي جعل هذه الأم تنتشر في الناس، بخير ابنها وبرّه بهم، فيقولون: (رحم الله الأم التي أنجبته).. وكلّما انتشر الخير وانتشرت الفضيلة بين الناس، يكون الحبّ أقوى بينهم وأشدّ.

هذا هو الحبّ الحقيقيّ، الذي قالوا عنه: (**وهل الدين إلا الحبّ**).

لذلك أعتقد أنّ الحبّ تصدّأ فينا، تعطّل عن العمل..

كلّنا نحبّ.. ولكن حبّنا من النوع الجامد..

لذلك نحن أفراد جامدون، غير حركيّين، غير منتجين، غير فاعلين.. لأنّنا لا نحبّ الآخرين لكي نعمل لأجلهم، لا نحبّ أوطاننا فلا نضحّي لأجلها بل نبيعها، لا نحبّ أنفسنا فنحيا بطريقة تجعلنا نخسر دنيانا وآخرتنا ونحسب أننا نحسن صنعاً.

لا نحب الله.. ولذلك لا نحبّ خلقه وعياله.

نجيد فنّ الكراهية، والحقد، والحسد، والبغض.. أمّة تجيد فنّ العنف في مفردات حياتها الخاصة والعامة، الأسرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية.. عنيفون في كلّ أفكارنا التي تُقصي الآخر وتنفر منه، عنيفون في مشاعرنا المبرمجة طبقاً

لأمزجتنا وأهوائنا فأمّا الإفراط في المشاعر أو التفريط، لا نجيد الحياد.. نجيد كلّ شيء، إلا الحبّ.

لذلك أصبحنا، أمّة نائمة أو خانعة أو خاملة أو...

لأنّنا أمّة عاجزة عن الحبِّ.

وكلّ ما يحدث لنا بشكلٍ عام هو نتاج عجزنا عن الحب، وما يحدث لنا نحن النسـاء بشكلٍ خاص، هو نتاج عدم القدرة على الحبّ..

إذن نحن ضحايا مجتمعات فقدت قدرتها على الحبّ.

❊❊❊

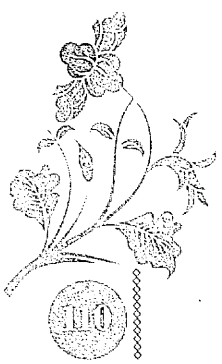

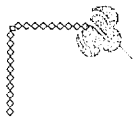

فراغات

تشغلني كثيراً، تلك العلاقة المعقّدة بين المرأة والرجل.

تلك الجدلية العصية على الفهم، والعقدة العصية على التفكيك.

سواء كان الرجل، أباً أو أخاً أو زوجاً أو ابناً أو زميلاً في العمل أو فرداً في المجتمع، يؤطّر علاقته دوماً بالمرأة بإطار التبعية، ويعتقد بأنّها جزء تابع له وليس مكمّلاً.. وأنّه يمتاز عنها بالكثير من القدرات والمهارات وله الأفضلية عليها في كل الأمور، حتى بات يتوهم بأنّه الإله الأنسب لها على الأرض.. والله هو الإله الذي في السماء، الذي في السماء يخلق ويقدّمها له لكي يستعبدها هو ويشرعن لها أنظمة الحياة.

ولكي أتخلّص من هذه الجدلية العقيمة وأحاول أن أفكّك هذه العقدة، سأنظر إلى العلاقة من زاوية أخرى.. قبل أن تكون هي زوجته أو أخته أو ابنته أو زميلته، هي أخته في الإيمان.

هي مسلمة كما هو مسلم، ولها حقوق المسلم قبل أن تأتي حقوق الابنة أو الزوجة أو الإنسان بشكل عام.

لذلك سأنظر إلى العلاقة بينهما على أنّها علاقة الأخوّة الإيمانية..

تلك الأخوّة التي يقول عنها نبيّنا محمد ﷺ: (**وُدُّ المؤمن للمؤمن في الله من أعظم شُعب الإيمان**). وعبارة (في الله)، تختزن الطاقة الإيجابية التي تدفع الإنسان لتقديم الخير غير المشروط للآخرين، تقديم الخير لأجل الله وفي عين الله، لا لمصلحة أو منفعة أو انتظار جزاء أو شكر من أحد.

الخير غير المشروط للآخرين، منبعه حبّ الناس، ذلك الحبّ الذي قال عنه الإمام الصادق عليه السلام: (**ما التقى مؤمنان قطّ إلا كان أفضلهما أشدّهما حُبّاً لأخيه**)، أفضلهما بعطائه وتسامحه وحبّه للخير. (وهنا الحديث عام لا يخص الذكور فقط، بل يخص كلّ من اتّصف بالإيمان من النساء والرجال).

من يحبّ، يكن معطاءً للحياة، للناس، دون استثناء.. دون تمييز.. دون تبعيض، لأمة دون أخرى، لمذهب دون آخر، لعشيرة دون أخرى، لأن الحبّ قوام الإنسانية.

فالفطرة الإنسانية جُبلت على الحبّ، حبّ الآخر، حبّ الخير.. فمن يعجز عن حبّ الناس وبالتالي يعجز عن العطاء لهم، فهذا يعني أنّ هناك عطباً (عطلاً) كبيراً قد أصاب إنسانيته!

غالباً ما يعتقد الكثير، أنّ العطاء يستفيد منه الآخرون، الأشخاص الذين يقع عليهم العطاء ويستفيدون من مزاياه، والمعطي هو شخص متفضل، ذو همة عالية، ذو فضل عظيم، وهو إنسان استثنائي يجب أن يُحتفى به، ولكني لا أعتقد ذلك.

ما أعتقده وأفهمه: أنّ هناك مساحات فارغة في أعماقنا، فجوات تملأ الفضاء في داخلنا.. هذه المساحات أو هذه الفجوات لا تُملأ إلا بالعطاء، فكلما أعطينا للناس، كلما امتلأت تلك المساحات الفارغة أو الفجوات، وعندما تردم كل فجوات الروح بعطاءاتها، ستغمرنا حينها السعادة.

فالسعادة، هي الهِبَةُ الإلهية التي تمنحنا إياها السماء، عندما تتعبد مساحات الروح وتردم فجواتها. فالقدرة على العطاء هو ما نحتاجه نحن قبل الآخرين، اكتمال قدرتنا على الحبّ ومن ثم العطاء، هو مطلبنا نحن.. قبل أن يكون مطلب الآخرين في حاجتهم إلى حبّنا وعطائنا.

من يحتاجني، يتفضّل عليّ بحاجته.. لأنّه سيعلّمني كيف أملأ تلك الفراغات التي تسكن ثنايا الروح هنا وهناك.. يعلّمني كيف أكون إنساناً.

وقد تكون حاجة الآخر ليست مالاً أو موقفاً، بل ربما حاجته تكون، ابتسامة، تخفّف عنه بعض هموم الحياة.. وغالباً ما نرى الناس تعجز حتى عن الابتسامة..

الكثير منا، يبخل حتى بابتسامته، أو كلمته الطيبة التي لا تكلّفه مالاً أو جهداً أو وقتاً، فكيف إذا طُلب منه مالٌ أو جهدٌ أو وقتٌ؟!

ولأنّنا لا نجيد الحبّ، فنحن أُمّة لا تُجيد العطاء، وإن أعطت منّت بعطائها، وهذا ما أشار اليه القرآن الكريم في سورة البقرة: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا

أَذًى وَاللَّـهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ...﴾ [البقرة: ٢٦٣ ـ ٢٦٤].

الآية المباركة تؤكد على حقيقة خطيرة وهامة: العطاء الروحي أهمّ من العطاء المادي، العطاء الروحي المتمثّل بالكلمة الطيبة والابتسامة، والعطاء الأسمى المتمثّل بالتسامح والعفو الذي يشيع أجواء المحبة بين الناس ويحفّز على التعايش السلمي في المجتمعات، المغفرة والتسامح التي تبني أساس السلام والمودة بين الناس (كلّ الناس بشكل عام فكيف بالأرحام والأقارب وذوي العلاقات الحميمية)، بدل الانتقام والعنف.

هذا العطاء الروحي الداعم إلى بناء مجتمع متسامح مسالم محبّ لبعضه أفضل من العطاء المادي (صدقة) يتبعها أذى مشفوع باستحقار الآخر أو إهانته أو التقليل من شأنه، مما يدفع بالعطاء إلى أن يكون عاملاً للبغض والحقد والتوتر بين الناس.

والله العظيم، يربينا على قاعدة اجتماعية هامة، تتحدّث عن (حفظ ماء الوجه)، فإن أعطيتَ لأحدهم شيئاً (سواء ماديّاً أو معنويّاً)، فلا تُتبِع ذلك بمنّة عليه، لأنّ هذه المنّة وهذا الأذى الذي سيصيبه منك، هو مبطل لعطائك.. كيف يكون مبطلاً له؟

من فلسفة العطاء الذي يؤكد عليه الإسلام لتربية أفراده، أنّ العطاء بصيغته الصحيحة يبعث على التوادّ والتراحم وبناء العلاقات الإنسانية التي تساهم في تشييد مجتمع مسالم محبّ لبعضه، متعاضد، يساند بعضه البعض الآخر، يفرح معاً، يحزن معاً، يقضي البعض حوائج البعض الآخر، ويدعمه تارة بالقول

المعروف والمغفرة وتارة بالأموال.. هو مجتمع يستشعر الفرد فيه حاجة الآخرين، فيسعى لقضائها عن طريق العطاء بوقته أو ماله أو جهده.. فالعطاء محفّز للسلام والمحبة والتآخي والرحمة بين الناس.. العطاء أساس هام لتشييد المجتمع الفاضل الذي تسعى البشرية إليه وتحلم به.

فإن جاءت المنّة والأذية بعد العطاء، فستبطل هذه الفلسفة، ويفقد العطاء، قيمته الجوهرية الحقيقية.. قيمته في إشاعة المحبة والمعروف والتسامح والتعاضد بين الناس. وبذلك يتحوّل العطاء إلى موضة عصرية، أو موجة يركبها البعض في بعض الأزمات التي تمر بها المجتمعات ليصبح بطلاً، أو محسناً، أو وجيهاً من الوجهاء.

هذا ما يراه ديننا في فلسفة الحبّ وما ينتج من عطاء للناس كل الناس، فكيف بأقرب الناس إلينا، كيف ببناتنا وأمهاتنا وزوجاتنا؟!

بعد هذه النظرة الى مفهوم الحبّ والعلاقة الأخوية التي تربط بين الرجال والنساء كمسلمين قبل أن يكونا زوجين أو أخوين.. ألا يحق لنا أن نعجب من ظلم الرجال للنساء؟ من استبداد الرجل بحياة المرأة وحقوقها، من كل ما يحدث لهنّ من ظلم وجور؟!

أعتقد بأني سأشفق على الرجال، كل الرجال.

لأنّهم مساكين.. عاجزون عن الحبّ، عن ملأ الفراغات التي في دواخلهم.

إنّ سبب ظلم الرجل للمرأة، هو عدم قدرته على أن يحبّ وأن يعطي وأن يفهم معنى الحياة بشكلها الحقيقي، هو عاجز عن أن يفهم معنى كونه مسلماً..

لذلك لا تحقدوا على الرجال.. بل أشفقوا عليهم.

❊ ❊ ❊

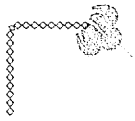

الناس تُدعى بأمهاتها:
معذرة إليك ربّي.. إنّي بريئةٌ مما يعملون

عندما كنت صغيرة أراقب أمي دوماً، عندما تريد أن تقرأ فاتحة لأحدهم، تسأل: ما اسم أمه؟

وعندما كبرت، وجدت الناس كلها تفعل ذلك.

تسأل عن اسم الأم، ما علاقة ذلك بالأمر؟!

لماذا لا يسألون عن اسم أبيه، عادة الناس تُعرف بأسماء آبائها، فلماذا فقط عندما يسألون عن الميت يسألون عن اسم أمه.

وذات يوم تجرأت وسألت أمي عن السبب، فصدمني جوابها: لأنّ الأم هي التي حملت ومؤكّد من هي أمه، يعني لا يوجد شك في من تكون أمه وبذلك يكون هناك مصداقية للاسم.

قلت والدهشة تغمرني من رأسي حتى أخمص قدمي: ومن قال هذا؟

أمي وهي واثقة من نفسها كل الثقة: الرسول يقول، العلماء يقولون، حتى في يوم القيامة الناس كلّهم يُنَادَوْن بأسماء أمهاتهم.. حتى يستر الله عليهم.

عن أيِّ ستر تتحدّث أمي؟!

شعرت بالغثيان.. هذه أكبر إهانة يمكن أن تُوَجَّه للمرأة على امتداد تأريخ البشرية.

هذا طعن واضح وصريح بأن كل (النساء) في العالم مشكوك بأمرهن!!

مشكوك بنسب أبنائهن!!

والله يريد أن يستر عليهن يوم القيامة فينادي الأبناء بأسماء أمهاتهم حتى لا يفضح النساء.

أي كارثة معرفية وعقائدية نعيشها؟!

ملايين المسلمين يؤمنون بها..

نحن مشكوك في أمرنا، في عفتنا، حتى يوم القيامة فيستر علينا الله!

بلعت ريقي المغمّس بوجعي وقلت لها في محاولة لتغيير دفة القناعة في رأسها: أمي، وهل الله لا يعلم من نريد نحن بالثواب أو بالفاتحة حين نقرأها.. أكيد هو يعلم، فيكفي أن نذكر اسمه لا داعي لاسم أمه أو أبيه.. نقول (فلان) وكفى.. وربنا يعلم من هو.

هزّت أمي رأسها نافية هذا الأمر وهي تقول: لا.. يجب أن

نذكر ابن من هو.. حتى يثبت عند الله ما نرسله من ثواب.

مسكينة أنت أيتها المرأة.. أنت متهمة على طول مسار حياتك. ولكن اطمئني، فإن الله سيستر عليك يوم القيامة!

معذرة إليك ربّي.. إني بريئة مما يعملون.

ومن حينها، كلما قرأت الفاتحة لأحدهم ذكرت اسمه فقط.. دون أم أو أب.. وأنا على يقين بأن ربي يعلم من أريد ويعرف ماذا أريد.

لأني لا أجرؤ على إهانة الناس.

* * *

ليس الذكر كالأنثى

في إحدى محاضراتي عن حقوق المرأة، والتي كنت أسعى دوماً إلى تأكيد على أنّ الإسلام لم يهضمها حقوقها، بالعكس هو الأكثر دفاعاً عن تلك الحقوق والأوحد الذي احترم وجودها وساوى بينها وبين الرجل، ولكن المشكلة في عدم فهمنا للإسلام الصحيح، كان أحد الجالسين أستاذاً أكاديمياً في الجامعة وحاملاً لشهادة الماجستير في علم النفس، رفع يده بعد انتهاء المحاضرة واعترض على كلامي قائلاً: ما قُلْتِهِ يا سيدتي يخالف القرآن الكريم بصريح عبارته، حيث قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَىٰ﴾[آل عمران: ٣٦]. القرآن يؤكّد على أنّ هناك اختلافاً بينهما.

نظرت إلى هذا الرجل المثقف، المتبحر في علم النفس والمعلم لآلاف من الأجيال، وقلت له بهدوء: أين هذا المقطع الذي ذكرته الآن؟ في أي سورة؟

فقال بثقة عالية: في سورة مريم.

قلت له بهدوء أيضاً: ورد هذا في سورة آل عمران، ولكن في أي جزء؟

لم يجب، فقلت له: أستاذي العزيز، هذا مقطع من آية وليس آية كاملة، وهذه الآية ضمن سياق آيات.. تتحدث عن قصة مريم وولادتها.. عد معي إلى المقطع بأكمله: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[آل عمران: ٣٥ـ٣٦]، نذرت أم مريم ما في بطنها لخدمة المعبد، وآنذاك كان المعبد لا يقبل غير الذكور.. فلما وضعتها أنثى قالت عبارتها هذه بمعنى أنّ الذكر ليس كالأنثى في قبول المعبد لها، أي إنّ المعبد لن يتقبّلها وستبقى حائرة في كيفية الوفاء بالنذر.. هذا كلّ ما في الأمر، ومع تخوفها هذا، فقد تم قبول مريم في المعبد بكفالة زكريا ووفت أمها بنذرها.. هذا يا أستاذ ما حصل. وهذا هو معنى العبارة التي ذكرتها.. ولكن مشكلتنا نحن، مشكلة الجميع بأنّهم يأخذون عبارة واحدة مجتزأة من آية كاملة أو مجموعة آيات ويستخدمونها دليلاً لما يريدون أن يركّزوه هم في عقول الناس.

نظر إليّ أستاذ علم النفس وقال لي بصدق: اسمحي لي أن أشكرك فقد علمتني معنى هذه الآية، الآن فقط فهمتها بشكل صحيح.

شكرته أنا أيضاً، لأنّه من الصعوبة أن تجد شخصاً يعترف بخطئه أو قصوره، خاصة إذا كان بمستوى أستاذ جامعي..

ولكني تساءلت مع نفسي: إن كان هذا الأستاذ الأكاديمي على علمه ووفرة معرفته وثقافته لا يعرف معنى هذه الآية بشكلها الدقيق، ولا يعرف بأنّ هذه عبارة مجتزأة من آية كاملة، كان يعتقد بأنّها آية وأنّ مفهومها هو اختلاف الذكر عن الأنثى وأنّ القرآن يقرّ بهذا الاختلاف، فيجب علينا أن نميّز بينهما في كلّ الأمور لأنّ الله في قرآنه يقول ذلك.. إن كان هذا الأستاذ يعتقد بهذا، فما بال الناس البسطاء أو غير المتعلمين؟!

ما نحتاجه فعلاً، هو المعرفة الحقيقيّة، والوعي.

***

(٣٣)

الأدب النسوي

في إحدى الأمسيات الأدبية التي حضرتها لإحدى الروائيات اللواتي اشتهرت بكتابتها حول المرأة وقضاياها في محاولة للدفاع عن حقوقها المهدورة في مجتمعنا، صدمتني مقولتان:

الأولى تتحدّث عن الأدب النسوي والأدب النسائي، فقد قاموا بالتفريق بينهما بأن أحدهما يكتبه رجل للتعبير عن قضايا المرأة، والآخر ما تكتبه النساء أنفسهنّ.

والثاني، هجوم بعض النقاد على هذه الروائية بأنها ليست (روائية) بالمعنى المتعارف عليه لديهم، فهي لا تصف المكان والأشخاص ولا تتطرق إلى أمور الجنس ولا تتحدث بآليات الرواية التابعة للمدرسة الفلانية وغيرها، فهي تنشر في رواياتها الفكر، ولا يمكن للروائي أن يكون مفكراً مصلحاً.

حملت تلك المقولتين معي إلى البيت، وحاولت تفكيكهما، فسألت أبي الذي يكثر من قراءة الكتب في غالب وقته: أي نوع من الروايات التي تكتبها كاتبات، تستهويك يا أبي؟!

ابتسم بمكر وقال: ولماذا؟

بادلته بمكر مشابه: أستاذنا في الجامعة يريد منا بعض المعلومات لإعداد دراسة حول قراءة الروايات النسوية في مجتمعاتنا العربية وأنواعها.

اعتدل أبي في جلسته وهو يقول: أنا تقريباً أقرأ كل رواية يقع عليها بصري، ولكن البعض منها أتابعه حتى آخر صفحة والبعض الآخر أتركه في نصف الطريق.. ما يستهويني فعلاً هو روايات غادة السمان / نوال السعداوي / أحلام مستغانمي.

- ولماذا يا أبي؟

- فيها جرأة، فيها تحدٍّ للمجتمع، فيها وصف لغير المألوف لدينا.

- تقصد الجنس.. وقد تكون فيها كمية كبيرة من الإباحية أيضاً؟

- ربما، لأنه عادة ما تكون النساء خجولات ولا يدخلنَ في ميادين كهذه تعتبر محرّمة عليهنّ، لذلك الكتابة في هذه الأمور تحتاج إلى جرأة، إلى شجاعة.

أعجبني ما قاله أبي، وكرّرت المحاولة مع بعض الرجال القارئين، وكانت إجاباتهم مماثلة لما قاله أبي.

حينها أدركت لماذا يحب الرجال، قراءة ما كتبته هؤلاء النسوة.. لأنهم ينظرون إلى المرأة كجسد فقط، ويفهمونها داخل هذا الإطار فقط، ويريدونها أن تبقى هكذا .. جسداً للمتعة سواء متعة اللمس أو متعة النظر أو متعة الإحساس بالسيادة والفوقية..

ولذلك بعد أسبوع من حديثي الأول مع أبي، عاودت الكَرّة ثانية: أفكّر في أن أكتب موضوعاً حول (حرية تعبير المرأة عن جسدها).

نظر إليّ أبي شزراً وقال: كيف تجرئين على فعل ذلك.. هذا حرام.

- ما هو الحرام يا أبي؟

- أن تكتبي في مواضيع كهذه..

- ولكنّك أعربت عن إعجابك بنساء كتبنَ في هذا المضمار، ووصفتهنّ بالجريئات والشجاعات، أريد أن أكون واحدة منهنّ.

كوّر أبي نظراته بقسوة نحوي وقال بغضب: هنّ يكتبنَ ولكن أنت لا.

- ولكنك معجب بهنّ.. وتقرأ لهنّ.

- أنا أقرأ لهنّ.. ولكنك لن تكتبي في هذا الأمر.

- ولماذا إذا كان الأمر هامّاً، ويعجبكم.

- لن تكتبي.. ولا تخوضي في مواضيع كهذه.. حاولي أن تكوني فتاة مؤدّبة ولا تثيري مشاكل.. ثم إن الخوض في هذه الأمور من المحرّمات.

قالها جازماً وغادرني.

إن كان الخوض في هذه الأمور من المحرّمات، فلماذا تقرأونها؟!

لماذا يعجبك ما تكتبه الكاتبات الإباحيات، وترفضون لبناتكم ونسائكم أن يكتبنَ في الإصلاح والفكر والحقوق؟

لأنّكم تريدون أن تروا المرأة جسداً رخيصاً تستمتعون به فقط..

لذلك من تكتب في هذا الجسد، فهي روائية..

أما من تكتب في الفكر، والحياة، وتعلّم النساء كيف يكنّ قويات في حياتهنّ وكيف يمكن أن يتحدّينَ الصعاب ليثبتنَ وجودهنَّ، فهي غير كاتبة ولا تصلح لتكون في مصافّ الأدباء ولن يحتفي بها أحدٌ سواء من قومها أو من غيرهم.

لذلك تم تصنيف الأدب النسوي والأدب النسائي، ولم يتم تصنيف الأدب الرجالي أو الرجولي.. لأنّ المرأة وحدها جديرة بتصنيفات كهذه.

(٣٤)

لأنك امرأة

لا أدري لماذا استبدَّ بيَ الغضب وأنا أرى زوجي يمدّ يده لمصافحة تلك المرأة الأجنبية عنه.

كنّا في حفل اجتماعي، يضمّ وجهاء القوم وشخصيات اجتماعية وسياسية من جهات عدّة، وكان منهم سيدات أجنبيات جئنَ ليشهدنَ حفل افتتاح هذا المشروع الكبير الذي تشهده المدينة آنذاك.

ما أغضبني أن زوجي من النوع الملتزم دينياً، ويحرص دوماً على مراعاة الحلال والحرام.

طويت غضبي ولم أجعله يلاحظ ذلك..

ولكنّ الأمر تكرّر في مناسبة أخرى، وثالثة ورابعة.

فقلت له: لماذا تصافح؟ أليس هذا حراماً؟

قال: أعرف ذلك، ولكنّي أتحرّج عندما تمدّ إحداهن يدها للمصافحة، خاصة إذ كانت أجنبية، أشعر بالخجل، وبأنها قد تفهم أنّ هذا إهانة لها حسب عرفهم وثقافتهم.. وأعتقد هناك ترخيص بهذه القضية من بعض العلماء في حالة وقوع الحرج.

ابتسمت له قائلة: ولكن الفتوى لا تتحدث عن أجنبيات تلتقيهنَّ في حفل أو مشروع أو نشاط ثقافي أو اجتماعي، الفتوى تتحدث عن حرج كبير قد يحدث لك، مثلاً إن كنت وزيراً أو مسؤولاً كبيراً أو في موقع من هذا القبيل..

قال لي بثقة: الشعور بالحرج بحدّ ذاته يكفي..

قلت له: جيد.. أنا أيضاً أتعرّض بحكم عملي إلى حالات كهذه، وكم من مرة يمدّ الرجال الأجانب وغيرهم أيديهم للمصافحة، بل في بعض الأحيان يكونون على مستوى عالٍ من الدبلوماسية والمنصب، وذات يوم حدث ذلك مع أحد النواب.. ولكنّي أردّ أيديهم بلطف.. وبناءً على ما تقوله، سأصافح من الآن فصاعداً.

نظر إليّ بحنق، وقال: لن تفعلي.. هذا حرام.

قلت له مستغربة: ولماذا لا أفعل.

قال لي بثقة مطلقة: لأنك امرأة.. أنت تختلفين.

شعرتُ حينها بالغثيان..

ولم أشأ أن أستمر معه في النقاش.

وأدركت أنه لا يوجد شيء اسمه حلال وحرام كما جاء به (محمد بن عبدالله ﷺ)، بل يوجد حلال وحرام كما يريده (رجالاتنا).. الرجل في حياتنا هو من يحدّد تفاصيل حلالنا وحرامنا، سواء كان هذا الرجل، صاحب منبر، أم صاحب قلم، أم صاحب فكر، أم صاحب سلطة.

وهو من يملك القدرة على أن يحلّل ما يشاء تمشية لما يرتضي، ويحرّم علينا ما يشاء رغبة لما يهوى.

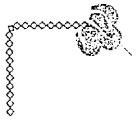

وجهه مسوّداً:
وعُدتُ إلى البيت أرملة

للمـرة الثالثة، أضع يديّ على بطني.. أتحسـس تلك الحركة الخفيفة التي بدأت تدب برحمي.

للمرة الثالثة سأكون أمّاً.

زوجي ينتظر هذا الحدث الهام.. مولودنا الثالث، بعد مجيء فتاتين.

وأنا أيضاً كنت أنتظر، بقلق.. مولودنا الثالث.

كنت أخشـى أن تأتي أنثـى، فزوجي يريده ذكـراً.. وأمه تريد ذلك، وأمي.. وأهله وأهلي.

الكلُّ ينتظر الذكر!!

وبـكل ما في العالم من قلق، دخلت إلى غرفة الأشـعة عندما دخلت في شهريَ الرابع لأرى جنس جنيني، والذي على أساسه يتحدد مصير انتظار القوم له.

وعندمـا كانت الطبيبة تمرر الجهاز علـى بطني، كانت دقات قلبـي تمـلأ المكان صخبـاً، فوضى عارمـة في داخلـي، لم أكد

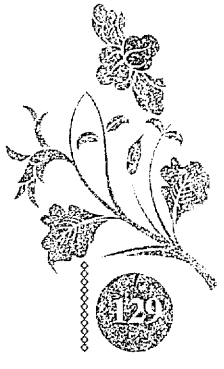

أسمع صوت الطبيبة وهي تقول: بنت.

سألتها لأستوضح: لم أسمع.

ابتسمت وهي تعيد كلامها: بنت.

لا أعرف كيف انهمرت دموعي، نظرت إليّ الطبيبة بإشفاق وقالت وهي تواسيني: لا تحزني، أنت مؤمنة وهذه إرادة الله، يقرّ في الأرحام ما يشاء.

كفكفت دمعي وأنا أقول: أنا لا أعترض على إرادة الله، آمنت بالله، ولكن ما يقلقني هو إرادة زوجي ومَنْ حوله.

خرجت من غرفة الطبيبة، ليطالعني وجه زوجي المترقب، عيناه تخترقان جسدي ليصلا إلى الرحم ويقتحما خصوصيته..

بلهفة أسرع قائلاً: أبشري؟!!

تلعثمت، ولا أدري كيف خرج صوتي: ولد.

تهللت أساريره، رفع يديه إلى السماء: الحمدلله يا رب، هيا يا عزيزتي، هيا لنعد ونبشّر أمي.

لأول مرة، أسمعه ينادي بـ (عزيزتي).

كانت تلك الأشهر، من أجمل الأيام التي قضيتها معه، كان يهتم بي، يحضّر لي ما أشتهيه من طعام، أمه تسأل عني وعن صحتي باستمرار.. كلّ الأمور تغيّرت.

يا ترى هل قيمتنا في الحياة، يختزلها حملنا بـ (ذكر)؟!

هل مكانتي عند زوجي وأهله، وربما حتى المجتمع، بما

سيتمخّض عنه رحمي من ذكر أو أنثى؟!

ألا أستحق من زوجي، ذلك الرجل الذي وهبته حياتي وصحتي وشبابي لأعيش معه، رحمة أو محبة أو اعتناء إلا بعد أن حملت له بذكر؟!

وبمرور الأيام، أستأنست بكذبتي.. وبدأت أتعايش معها.. أشتريت ملابس ذكور، وبدأنا نختار له اسماً..

وكل ليلة، يجلس زوجي مع ابنتيه يحدّثهما عن أخيهما القادم.

ولم أشعر بالقلق بعدها أبداً.

حتى جاء وقت المخاض، وأخذوني للمشفى.

شعرت حينها بأنّ عمر كذبتي سينتهي.. وربما حياتي الزوجية ستنتهي أيضاً.

وما بين طلقات المخاض وقساوة الآلام سألت الممرضة التي كانت تشرف على وضعي: هل بالإمكان لجهاز (السونار) أن يخطئ في تشخيص جنس الجنين؟!

ابتسمت لتفاهة السؤال وقالت مؤكّدة: لا يمكن أن يخطئ..

وعندما أخبرت الطبيبة بأنّ الولادة قد أَزِفَتْ، أسرعت طبيبتي إليّ وأمرتهم بإدخالي الى غرفة الولادة، فانهمرت دموعي وأمسكت يدها وكل خوف العالم اجتمع في صوتي: دكتورة، هل بإمكان جهاز (السونار) أن يخطئ في تشخيص الجنين.

نظرت إليّ مستغربة سؤالي، فاستدركتُ ودموعي تغسل

أدران كذبتي: لقد كذبت على زوجي، وأخبرته بأنّي أنتظر ذكراً.. لم يكن بيدي حيلة سوى هذا.

لم تدرِ المسكينة ما تقول، لمحت من بين أوجاعي دمعاً ترقرق في عينها، فقالت: أخطأت بذلك، ولكن قد يحدث في بعض الأحيان أن يخطئ الجهاز، إذا كان الطفل موليّاً ظهره ولم تجد الطبيبة الرؤية.. قد يحدث ولكن هذا نادراً.

أدخلوني إلى غرفة العمليات، كانت طبيبتي قلقة لما سمعت مني، وكنت أنا خائفة لهول ما ستأتي به الساعات القادمة.. ومع اشتداد الوجع، أخذت أصرخ فيما ركع قلبي متوسّلاً لله: يا إلهي أنقذني مما أنا فيه.. هل رأيت يوماً أمّاً لا تودّ رؤية جنينها؟! أنت تقرّ ما في الأرحام، أنت قادر على كلّ شيء.. ما ذنبي أن أعيش العمر كلّه بجريرة (الجاهلية).. أعلم بأني كذبت، وأنت لا تحب الكاذبين، ولكنّك أيضاً مع الخائفين، مع المظلومين، مع الحائرين.. مع المضطرين..

سمعت صراخه.. مولودي الذي لم أكن أرغب بأن يأتي..

طفلي الذي كنت أتمنى أن يبقى جنيناً مدى الحياة، حتى أبقى أنا مدللة ومحترمة.

كنت أخشى مجيئه.

حملته الطبيبة بيديها، أرادت الممرضة أن تأخذها منها كالعادة، فالطبيبة ينتهي دورها بخروج الطفل، ولكنها أبعدت يدي الممرضة، وجاءت به تحمله إليّ وهي تبتسم: لقد استجاب الله لك، وآمنك بعد خوفك.. طفلك ذكرٌ.

حينهـا، لم أفـرح به كما تفرح كل أم.. كانـت فرحتي بأنّ الله استجاب لي ولم يتركني لوحدي.

كم أنا أحبك يا (الله)..

خرجت الممرضة لتبشّـر المنتظرين وأولهم زوجي الذي لم يوفّق لرؤية ابنه قط.

فقد كان يقود سيارته مسرعاً عندما أخبروه بأنّي في المشفى.. ولـم يتمكن من السـيطرة عليهـا عندما اعترضت طريقه سـيارة أخرى..

وصل زوجي إلى المشفى ميتاً.

وعدتُ إلى البيت أرملة.

(٣٦)

للرجال فقط

ذات يـوم، كان علـيّ أن أقود فريقاً للشـباب الى مدينة أخرى لإجراء مسابقة تنافسية مع أقرانهم من مدن متعدّدة.

كان الفريـق يتكـوّن مـن سـبعة شـباب وأربـع بنـات تتراوح أعمارهم ما بين الثالثة عشرة والسابعة عشرة.

وصلنا إلى مطعم وقت الظهيرة، فترجّلنا للصلاة والغداء.

أخذ الشـباب مقاعدهـم وبعضهم ذهب للحمامـات، عندما سألت النادل: أين يمكننا أن نصلي؟!

حدق الشاب بي مستغرباً ومن ثَمَّ قال: لا يوجد مكان للصلاة للنساء، هناك غرفة خلف المطعم للرّجال فقط.

اسـتفزّني الموقف، فصحت بالشـباب قائلة بطريقة يسمعني بها مَنْ حولنا: تعالوا يا شباب، لنذهب إلى مطعم آخر.

وعندمـا هممنا بالانصـراف، لحق بنا صاحـب المطعم وهو يقول: سيدتي، ماذا هناك؟ لماذا تخرجون؟

قلت له: نريد مكاناً للصّلاة.

قال: هذه غرفة للصلاة، ليذهب الشباب ويصلوا.

قلت له: وأنا، والفتيات.

وعندما وجدني مصرّةً على ما أريد وإلّا غادرت المكان، قال لي: تعالي معي سيدتي.

أخذني إلى ركن في المطعم ونحى طاولة مع كراسيها جانباً وقال: هنا سيدتي، سأفرش لك بساطاً لتصلي.

شكرته، فإذا بإحدى السيدات الجالسات تتناول غداءها مع زوجها تلتفت إليّ قائلة: لما كل هذه الضجة التي أحدثتها.. كان بالإمكان تأجيل الصلاة إلى أن تَصِلي إلى بيتك.

التفتُّ إليها لأقول: عندما أصل إلى مقصدي سيكون وقتها قد ذهب.

فأجابت وهي تلوك بفمها الكبير قطعة لحم: وليكن.. أنت امرأة ما كان الأجدر بك أن تُحدثي كلَّ هذه الضجة أمام الرجال.

كنت أتمنى حينها، أن تواتيني فرصة جيدة لأجعلها تخجل من نفسها.

ليس لأنّها لم تبالِ بصلاتها وتريدين أن أكون مثلها، بل لأنها اقتنعت في قرارة نفسها بأنّ (المرأة) يجب أن تسكت وأن لا تطالب بحقها لأنّها أنثى وما يجب أن يسمع أحد صوتها.

وقد صفعتها فعلاً، عندما وقفت مع فتياتي وصلينا أمام الجميع.

من قال بأنّ صلاتنا باطلة، وإن علينا أن نضيّع وقتها ونضيّع

قيمتها حتى نصليها في البيت.

ما الفرق بيننا وبين الرجال؟!

لماذا يفردون للرجال غرفة خاصة للصلاة ولا يفعلون ذلك للنساء؟!

لماذا على المرأة أن تضيع صلاتها؟!

كانت تلك الصلاة من أجمل ما صليت..

تناولنا غداءنا وانصرفنا شاكرين لصاحب المطعم لطفه فينا.

وبعد مرور ما يقرب من عشرة أعوام على هذه الحادثة، تذكرتها عندما كنت في إحدى المستشفيات الكبيرة برفقة إحدى صديقاتي المريضات وحان موعد أذان المغرب، سألت عن المُصلّى، فأرشدوني إليه..

مصلّى في منتصف حديقة المشفى.. كبير جداً ملأ قلبي سروراً أن أجد من يُفرد للصلاة مكاناً جميلاً كهذا.. وعندما دلفتُ إليه، أسرع أحدهم قائلاً كمن لدغته حيّة: مِنْ هناك.. النساء مِنْ هناك.

وأشار إليّ إلى خلف المسجد، سرت إلى حيث أشار ووصلت إلى غرفة صغيرة، كان الوقت تمّوزاً (والحرارة في تمّوز بالعراق فوق الـ ٥٠ درجة).. ولم يكن في الغرفة أيُّ جهاز تبريد أو حتى مروحة، وكانت غرفة صغيرة غير مفروشة، فيها بعض سجادات الصلاة مرمية بغير عناية.

صليت فرضي.. وأنا حانقة على مَنْ بنى هذا المسجد.. ألم

يفكر بالنساء؟!

لماذا مسجد كبير كله للرجال بإمكانياته الخدمية المتكاملة، فيما يضعون النساء المصليات في غرفة خلفية بلا تبريد ولا حتى فراش.. صلينا على الأرض.

أكملت صلاتي، وأنا حانقة على مجتمعي.. الذي حرمني من أبسط حقوقي، وهو أن أصلّي في مكان يليق بي كمسلمة، ويليق بصلاتي.

وعذرت الكثير من الفتيات الصغيرات اللواتي يؤخّرنَ صلاتهنّ حتى يعدنَ إلى بيوتهن حتى وإن ضاعت الصلاة.. لعلّ الله يغفر لهنّ لأنهنّ (أناث).

(٣٧)

حور العين

حور العين كأمثال اللؤلؤ المكنون.

على الرغم من جمالية الوصف، وأنّ الله تعالى أورد ذكرهن في قرآنه الكريم لعدة مرات.

ولكني لا أحبهن..

أشعر بالغيرة منهن، دوماً.

لأنهن غريمات أمي، وأختي، وأصبحن فيما بعد غريماتي عندما تزوّجت.

فكل الرجال يتعالون على زوجاتهم بأن الله سيعطينا حوراً عيناً أجمل منكنّ في الجنة، وأن في ذلك العالم ستكون لي حورٌ عينٌ حسناوات تعوضني عنك وأنّ وأنّ وأنّ...

يا ترى لماذا يحاول المتديّنون أن يخلقوا لنا غريمات نكرههنّ؟!

ولماذا يشعروننا دوماً بأن وجودنا في حياتهم، هو وجود جسد فقط، وأنهم سرعان ما سيستبدلونه بأفضل وأجمل منه في الآخرة، وأن الله يحبهم كثيراً بل أكثر منّا لأنه هيأ لهم الحور

العين الحسان ليستمتعوا بهنّ هناك..

لماذا لم يخلق لنا نحن النساء رجالاً حساناً، نستبدل بهم أزواجنا هناك؟!

إن ذهب هو في ذلك العالم إلى حور عينه، وتركني أنظر إليهما بحسرة، ألا يُعتبر ذلك ظلماً؟!

وأين سأكون في الوقت الذي ستكون الحور العين هي سيدة قلبه ومالكة جسده؟!

هذا ما كان يشغلني حقاً؟! وربما يشغل عقل وقلب غالبية النساء إن لم يكن جميعهنّ.

ما قيمتنا نحن نساء الدنيا إزاء قيمة الحور العين ومكانتهنّ، سواء عند الله تعالى أم عند أزواجنا؟!

كان هذا الموضوع يؤرّقني كثيراً..

وبحثت حتى وجدت الإجابة.

فعندما أخذت أتدبر في آيات الله وأبحث في التفاسير المعتبرة وأدقّق في مصادر معرفتي، وجدت أنّ الحور العين هنّ نساء جميلات حسناوات من سنخ ذلك العالم كالملائكة.. وهُنّ بمثابة الجزاء للعمل الصالح للرجل، فإذا قام الرجل بعمل صالح يستحقّ عليه حور عين هناك، فحصوله على الحور منوط بأعماله الصالحة إن كانت لديه.

والحور العين هُنّ المرتبة الدنيا من نساء ذلك العالم.. فهناك الخيرات الحسان اللواتي هنّ أعلى درجة منهن وأكثر حسناً..

هنّ المؤمنات الصالحات.

فالنساء المؤمنات الصالحات مرتبتهنّ في الجنة أعلى من الحور العين، لأنّ الحور العين من سنخ ذلك العالم وقد خلقها لله للجنة، أما المرأة المؤمنة الصالحة فهي التي دخلت الجنة بجهدها (بذراعها)، بتقواها، بصبرها، بجهادها، فلذلك هي تنال الدرجة الأعلى والمرتبة الأسنى لأنها نالت ذلك بتفوقها وتعبها، هنّ خيرات حسان، لأنهنّ معطاءات للخير في دنياهنّ، فأصبحنَ حسناوات بالخير في أخراهن.

وهناك صنف آخر من نساء الجنة، وهن (الكواعب الأتراب)، وهنّ المؤمنات ذوات المكانة الرفيعة والعلم الشريف وفي الوقت نفسه هنّ متواضعات، كواعب في علمهن

وشرفهن وعملهن وتقواهن وفي الوقت نفسه يكنّ متواضعات (أتراباً)، لا يستبدّ بهنّ الغرور لإيمانهن وعبادتهن وعطائهن الاجتماعي والمعرفي.. هذا النوع من النساء لهن الدرجة العليا، وهن من مقام (المتّقين)، أي ينالهن الأتقياء فقط.. الأتقياء من المؤمنين قريناتهن (الكواعب الأتراب).

لا يمكن أن أصف لكم ذلك الشعور الذي خالجني بعد أن فهمت بأنّي أفضل وأكثر حسناً من الحور العين، وإن كان الرجل المسلم يقهر امرأته ويثير غيرتها بـ (الحور العين) إن نالها، فأنا أعلى منها درجة.. وأكثر حسناً.

وأخبرت زوجي بذلك، فضحك وقال: من أخبرك بهذا.

قلت له بثقة: الذي أخبرك بالحور العين.

ومن حينها عزمت على أن أخبر كل النساء بأنهنّ سيكنّ (خيرات حسان) أو (كواعب أترابا)، وأنهنّ الأجمل والأنقى والأعلى مرتبة في الجنة.

واللطيف أنّ كل امرأة تسمع بهذا الحديث تتساءل: لماذا لم يخبرنا أحد بذلك؟! لماذا لا يفسّرون لنا القرآن بشكله الصحيح؟!

وكل النساء، يؤكدن لي بأنهن شعرنَ براحة نفسية كبرى بعد أن عرفنَ مكانتهنّ الحقيقية في ذلك العالم، وأنّ الحور العين لم يَعُدنَ غريماتهنّ.

أيتها الحور العين، أحبكنّ.. لأنّكنّ هدية الله للصالحين من عباده.

وأنا أحبك يا إلهي، لأنك لم تبخسني حقّي كما فعل عبادك معي في دنياهم.

شكراً لك... لأنك جعلت قيمتي هناك منوطة بعملي الصالح وفكري واجتهادي وصبري وتعبي في الحياة.. لم تقرن مكانتي بقيمة جسدي.

***

(٣٨)

لافتة سوداء

عندما ماتت أمي، وهي امرأة جليلة ومعلّمة قديرة ربّت أجيالاً عديدة من الرجال والنساء، وخرّجت الأساتذة والأطباء والمعلمين.. ثلاثة أرباع سكان مدينتنا تربوا على يديها وتخرّجوا ممتنّين لعلمها وخلقها.

كانت امرأة عظيمة، أحبّها طلبتها كثيراً، فقد كانت لهم معلمة وأماً وصديقة ووقفت مع الكثير في حياته تسانده.

لذلك عندما ماتت، كان عزاؤها كبيراً.. وسار خلف جنازتها فوج كبير من الناس.

كلّهم كانوا يعرفون اسمها (سعاد فؤاد الخضر).. كلّ طَلَبَتها، كلّ أولياء أمور طلبتها، كلّ المعلمين والتربويين، كان اسمها معروفاً.. لم تكن امرأة مخفية الملامح أو التأريخ.

ومع ذلك أصرّ أبي وإخوتي على أن تكون لافتة عزائها السوداء: (انتقلت إلى رحمة ربها عقيلة السيد كريم عبد الله ووالدة كلٍّ من محمود وأحمد وهاشم وسيقام مجلس العزاء في ....).

قلت مصرّة على موقفي باعتباري أنا البنت البكر (كما كنت أعتقد بأنّ ذلك يعطيني صلاحية التدخل بأمور مصيرية كهذه): كلّ الناس تعرف اسمها.. وتعرف أسماء أولادها، كلّ الناس لآخر يوم يخاطبونها بست سعاد.. وعندما ماتت، الكلّ قال: ماتت ست سعاد.. فلماذا لا نضع اسمها على اللافتة؟

أخي محمود ممتعضاً من إصراري: هذا أمر غير وارد وغير متعارف عليه في مجتمعنا.

بحنق صرخت فيه: ليذهب مجتمعك إلى الجحيم.. لسنا مجبرين على أن نجاريه، عدم وضعك اسم أمي في اللافتة هذا يعني بأنك مستنكف لذكر اسمها.

محمود: النساء لا تُذكر أسماؤهن في اللافتات العامة التي توضع في الشوارع.

- لماذا؟ ما هو السبب؟!
- تكريماً لها.
- بالعكس، أنت الآن تقلّل من تكريمها وتقديرها عندما تهمِّشها وتهمّش كيانها بربطه بالزوج والابن لاغياً وجودها واسمها.. أنت الآن لا تنعى سعاد الإنسانة المعلمة التي ربت الأجيال، أنت تنعى زوجة كريم وأم محمود وأحمد.. ألغيت وجودها وتأريخها، اختزلت وجودها بتبعية زوج وابن.
- اسكتي رجاءً.. نحن الآن في مصاب ولا مجال للفلسفة.. لن يُذكر اسمُها في اللافتة.

البيـت وتربية الأولاد الأربعـة الذين أنجبتهم ولـم أعرف كيف ولماذا وكيف سأتعامل معهم.. كنت أُنجب وأمه تربّي.

حتـى وجدته ذات يوم، في أحضان امـرأة أخرى.. كنت عند أهلـي ورجعت لبيتي دون أن يعرف فقد كان من المقرّر أن أبقى فتـرة أطـول لوفاة أخـي الكبيـر.. عـدت دون علمه، فـكان بين أحضان امرأة أخرى.. لم أستوعب ما رأيت، ولم أفهم شـيئاً.. حينهـا لم أرَ سـوى صورة فتاة في الخامسـة عشـرة من عمرها، يساق بها إلى العبودية، وتُسلب منها روعة الحياة.

لم أفهم كيف حدث كلُّ ما حدث، كلُّ الذي فهمته بعد حين، بأنّي قتلته ..

في سـورة غضبي، وجدت العصا التي كان يضربني بها كلّما تراخيـت عـن تلبيـة مطالبـه، كان يضعهـا خلـف بـاب غرفتنا.. انتصب أمامي كوحش أكل من جسدي عشر سنين ولم يشبع.

حملتها وضربته على رأسه فمات من فوره وهو بين ذراعيها.

وقادوني إلى السجن.

حكموني عشر سنين..

تخلّى أهلي عنّي، لم يزُرني أحدٌ منهم، سـوى أمي المسكينة التي ماتت بعد عامين من دخولي السـجن.. سـبع سـنين مضت ولـم أر أبنائي الأربعة، وسـأخرج وهم حاقدون عليّ.. لن أراهم مرة ثانية، هذا ما أنا متأكدة منه.

سـمعت في غضون أيـام المحاكمة والتحقيقـات، بأنّ هناك

قانوناً يسمّى قانون العقوبات، يُحَاكَم فيه المجرمون طبقاً للجريمة التي يقترفونها، وأنّ هذا القانون يعاقب المرأة إذا قتلت زوجها متلبساً بالزّنا في فراش الزوجية كجريمة قتل، ولكن إن كان العكس، أي إن وجد الرجلُ زوجتَه متلبّسة بالزّنا وقتلها، فلا عقوبة عليه.. ويعتبر هذا ردّ شرف وتخفّف عقوبته لحبس بعض أشهر ونادراً ما يحبس..

فكّرت كثيراً في الأمر.. لماذا يا ترى؟!

هل لون دماء الرجال أغمق من لون دمائنا؟!

هل الشرف مقرون بنا نحن فقط، دونهم؟!

هل أجسادنا أسيرة لهم، وأجسادهم حرّة يفعلون بها ما يشاؤون؟!

كيف تميّز عقوبة لجريمة واحدة؟! تميّز على أساس الجنس.

كيف يمكن أن يعتبروا قضاءهم عادلاً..

هذه الأسئلة وغيرها، كانت تقلقني كثيراً حتى رأيت (صبا)، تلك الفتاة ذات الثامنة عشرة من عمرها، والتي جاؤوا بها قبل شهر إلى هنا.. محكومة بالحبس لمدة خمس عشرة عاماً بجريمة القتل..

كانت فتاة صغيرة نحيلة.. وكان هناك انتفاخ في بطنها، علمنا بعد حين بأنها حامل.

(صبا)، كان والدها يعتدي عليها جنسياً، منذ كانت في الخامسة عشرة من عمرها، كانت في بادئ الأمر تخاف أن تخبر

والدتها، وبعد مرور الوقت استبد بها الخوف وربما اعتادت على ما يجري.. حتى تمادى الأب في غيه، ولم يتمالك شهوته فاغتصبها اغتصاباً كاملاً، كاد أن يودي بحياتها.. تألّمت كثيراً في حينها، ولكنها بقيت خائفة من البوح بما يجري، ويبدو أنّ الأب استأنس لما وصل إليه الأمر، فعاود الكرّة معها ولكنها ضاقت به ذرعاً وجزعت مما هي عليه، فحاولت أن تصدّه، فضربها، فأخذتها الحمية على نفسها وهانت عليها الدنيا، فمسكت بسكّينة وأخذت تهدّده إن اقترب منها ستقتله، ولكنه لم يأخذ الأمر مأخذ الجد وهجم عليها برعونة أدخلت السكّينة في بطنه لينزف دمه برعونة.

أُدخلت (صبا) السجن.. وحُكم عليها بالسجن لجريمة قتل.

من القاتل؟ ومن المقتول؟

ألم تُقتل براءة (صبا) وطفولتها؟! ألم تُسلب منها الحياة؟!

ما ذنب طفلة صغيرة أن تكون ضحية لرعونة رجل كان من المفترض أن يكون حاميها، أن يرعى الحياة فيها؟!

أيّ مجتمع هذا لا يؤمّن الحماية لفتيات صغيرات؟! وأيّ قانون هذا يترك المجرم ويطبّق أحكامه على الضحية؟!

ما ذنب هذا الذي ينمو في أحشائها؟! ما مصيره؟! سيُولَد في السجن.. وستبقى وصمة العار تلاحقه حتى آخر يوم في حياته لذنب لم يقترفه هو.

أيّ قانون هذا يبني أحكامه على أساس الجنس ويمايز بينهما،

دون أدنى إنصاف أو رحمة.

أنا وصبا.. ومئات النساء الأخريات، ضحايا قساوة الرجل وسلطته، ضحايا مجتمع جائر، ضحايا قوانين ظالمة.. إلى من نلجأ؟! من سينصفنا؟!

قضى السجن على أعوام عديدة من عمرنا، ومن سمعتنا، ومن حياتنا.. وعندما نخرج سنجد العالم الخارجي أشد قسوة وأكثر عنفاً وظلماً.

بأيّ ذنب قُتلنا؟!

(٤٠)

سوق النخاسة

كنت أقرأ عن سوق النخاسة في غابر الأزمان، وكيف كانت النساء يعرضنَ كجوارٍ فيه للبيع.

وكنت أتألم لحالهنّ وأتساءل مع نفسي: كيف كانت حالهنّ وأنظار الرجال تقلّبهنّ قبل الأيدي؟ كيف يمكن لفتاة صغيرة أن يكون جسدها، سلعة للبيع ومتاعاً لرجل لا يفهم منها سوى وسيلة لتلبية غرائزه؟

ولم يدم الحال طويلاً، حيث وجدت نفسي في سوق للنخاسة.. تقلبني أبصار النساء ليقيّمنَ في مؤشرات الأنوثة، ويسقطنَ معاييرها عليّ!

كانت امرأة في الخمسين من عمرها ومعها شابتان إحداهما في الثلاثين من عمرها والأخرى في بداية عشرينياتها.. جلسنَ يحدقنَ بي من كل جانب..

أخبرتني أمي بأنّ هناك نساء جئنَ لرؤيتي، لم أكن مقتنعة بزيجات كهذه، أن أُعجب امرأة ما لتأخذني عروسة لابنها.. وكأنها تختار سلعة لبيتها، كما تختار ستائر النافذة او طقم

الصحون لغرفة الضيوف.

جلست أمامهن وهن يتمعنّ بي، وتساءلت في سريّ: كيف سيعرفن بأني فتاة صالحة لابنهم؟ كيف يمكن أن يتأكّدن بأنّي سأسعد ابنهم؟ من أنه سيحبني وسيرضى بي زوجة؟ كيف يمكن أن تعرفن أخلاقي وأفكاري وسلوكياتي، وهل أصلح أن أكون فرداً في عائلتهم أم لا؟

بعد زيارة دامت نصف ساعة، خرجت الضيفات وأمي كانت فرحة، فبحكم فراستها أيقنت بأني أعجبتهن.

وفعلاً بعد يومين اتّصلت الأم تطلب موعداً لمجيء الرجال لكي نجري مراسيم الخطبة الرسمية، وهي تؤكّد لأمي: لن نجد أفضل من ابنتكم زوجة لابننا.

سألتُ أمي: وكيف عرفت ذلك؟ إنها لم تعاشرني؟ لم تسألني حتى عن نفسي، عمّا أحب وما أكره، لم ترَ مني سوى دقائق كنت صامتة خلالها.. كيف يمكن أن تختارني زوجة لابنها، وفقا لأية معايير؟!

أمي التي أذهلها كلامي: ويحك.. لقد رأت منك حسناً وأدباً ورِقَّة.. مَنْ تجاريك في حسنها وقدها.

- ولكن الزواج ليس حُسْناً وقدّاً فقط يا أمي، الزواج ليس ملامح وتفاصيل جسد.
- هذا أهم شيء.. ثم إنك ابنة عائلة معروفة وذات سمعة طيبة في المجتمع، ماذا يريدون أكثر من هذا.
- أمي إنك تختزلين العلاقة الزوجية بعلاقة جسدية فقط..

ثم هل سأعاشر الأم والأخوات جسدياً، أم سأعاشر ابنهم.. الولد لم يرني.

- هو واثق من خيارات أمه. إن كنت أعجبتِ أمه يعني ستعجبينه.
- ولكنّي لم أره.. ولم أجلس معه، ولم أتحدّث إليه.
- سهلة.. سنطلب منهم أن يفعلوا ذلك.
- افعلي يا أمي.. لن أتزوج من شاب لم أره.. لم يخترني، اختارتني أمه.

وفي اليوم التالي، جاء مع أمه.. لم يعجبني.

كان يبدو ضعيف الشخصية، ولم أشعر بأنّ قلبي قد انجذب إليه.

وعندما أخبرتُ أمي بذلك، ضربت بيدها على صدرها وقالت: ويلك، ماذا تريدين أن أقول للناس: قلب ابنتي لم ينجذب لابنكم.

- قولي لهم ما تشائين.. لن أتزوج من هذا الرجل.

وتكررت هذه الحادثة لعدة مرات.. وكنت أعاني كثيراً مع أهلي في كل مرة، كنت عبثاً أحاول أن أوصل لهم رسالة، بأني لست جسداً.. وأن الزواج ليس علاقة أجساد فحسب، بل هو تناغم مشاعر، فكر، تناسق، انجذاب، أشياء كثيرة على أساسها تقوم الحياة الأسرية..

لست جارية.. لا أريد أن أكون بضاعة في سوق النخاسة، أُقيّم على أساس معايير جسدي.

تزوّجتْ أخواتي الثلاث الأصغر مني، على أساس معايير الجسد وخياراته.

وأشرفتُ على الثلاثين.

ماتت أمي قبل عامين، وكان آخر ما قالته لي: سأبقى قلقة عليك.. ستبقين لوحدك.

ولكني لست قلقة على نفسي..

لديّ عملي.. كتبي.. نشاطاتي الاجتماعية.. لديّ حريتي.

لن أتزوج بأيِّ رجل، لأنه رجل.

لن أقبل بأيِّ شخص، حتى لا أبقى وحدي.

لن أرضى بأيِّ طارق، حتى لا أصبح عانساً.

لن يفوتني القطار.. فمن قال بأنّ القطار يفوت النساء فقط، إن كان سريعاً فسيفوت الرجال والنساء معاً.

سأنتظر رجلاً يسعدني، يفكر معي، يشاركني الحياة بكلِّ تفاصيلها، وليكن الجسد واحداً من هذه التفاصيل.

سأنتظر من يطلب يدي لأني أنا، لفكري، لشخصيتي، لجسدي.

ولا يهمني متى يأتي.

❊❊❊

(٤١)

رضا زوجها

كان صاحب المنبر، يؤكّد في خطبته على ضرورة أن تطيع المرأة زوجها، حتى وإن كان ظالماً لها.. لأنّ الرجل أدرى بمصلحة المرأة منها، وهو بحكم عقله الذي هو أرجح من عقلها قادر على تشخيص ما يصلح لها ولأسرتها... وبما أنّ الله جعل القوامية بيده وأفرد له الأفضلية في الحياة عليها باعتبارها ناقصة عقل ودين وحظ..

وكان أجمل ما في خطبته، ما اختتمه من حديث عن الإمام الباقر عليه السلام: لا شفيع للمرأة أنجح عند ربها من رضا زوجها.

وعندما أنهى خطبته، كان الرجال يتمطون زهواً بما منحه الربّ من سلطة ونفوذ إلهيّ لن يجرؤ أحد على الخروج عليهما، وإن فعلت إحداهنّ ذلك فستكون آبقة وغير صالحة، فيما خرجت النساء ملويات العنق، هل سيسمعن يوماً بأحدهم ينصفهنّ، أو يطالب بحقوقهنّ، أو على أقل تقدير، يعطيهنّ احترامهنّ وينصفهنّ بكلمة طيبة..

لماذا دوماً هن ناقصات عقل ودين؟!

ولماذا كما يرون: (أنَّ أكثر أهل النار هم من النساء)؟

كيف يكون ذلك؟

أليست هي من تحمل وتعاني المخاض وتلد؟!

أليست هي من تسهر على تربية الأبناء ورعايتهم مع أبيهم؟!

أليست هي من تضحّي؟ من تجاهد بكلّ الطرق لأجل إسعاده وإسعاد أولاده، تضحّي بأهلها، بمالها، بصحّتها، بشبابها..

ثم تكون من أهل النار؟!

لأنّ زوجها لم يرضَ عنها؟!

ألم يقل الله في قرآنه: ﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ...﴾[آل عمران: ١٩٥]، ألم يقل الله بأنّ المعيار الوحيد لقرب الله هو عمل الإنسان وصلاحه وتقواه.

فإن كانت المرأة مؤمنة وعاملة وتقية، ولم يرضَ عنها زوجها لأيِّ سبب من الأسباب، ألا تنال رضا الله تعالى؟!

لماذا يُقرن مصيرنا برضا شخص.. يكون دوماً رجلاً؟!

لماذا يُنظر إلينا دوماً كتَبَع.. لا قيمة لوجودنا إلا إذا اقترن بوجود أحدهم، على أن يكون رجلاً؟!

يا ترى لماذا يحرص دوماً، أصحاب المنابر ووعاظ السلاطين على أن يروّجوا لروايات كهذه على الرغم من ضعف سندها وهزالة منطقيتها، في حين لا يحرصون على وعظ الرجال بتقوى الله في نسائهم.. في أمهاتهم وبناتهم وزوجاتهم..

رجال الدين، يعلمون جيداً ماذا يجري على النساء من ظلم وتعسف وعنف.. وتصلهم الآلاف من القصص عن حرمانهم من الميراث أو التعليم أو تزويجهن مبكراً، أو ممارسة العنف الجسدي والنفسي عليهنّ.. ولا يتناولون ذلك في خطبهم ووعظهم وفتاويهم.

يأمرون المرأة أن تكون كفاطمة الزهراء عليها السلام، ولا يأمرون الرجل أن يكون كعليّ بن أبي طالب عليه السلام.

يأمرون المرأة بالصبر على سوء خلق زوجها، ومن تصبر على سوء خلق زوجها تدخل الجنة.. ولكنهم لا يأمرون الرجل بالصبر على سوء خلق زوجته، أو حتى لا يأمرونه بحسن معاملتها أسوة بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله: (**ما أكرمهن إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم**).

يذكّروننا دوماً بحديث: سجود المرأة لزوجها، ولا يذكّرون الرجال بحديث: (**إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوّجوه.. لأنّه إذا أحبّها أكرمها وإن لم يحبّها لم يؤذها**).

لذلك عندما أنهى الخطيب حديثه، أرسلتُ له قصاصة ورقة كتبت فيها: (سماحة الشيخ الجليل: إن كان زوجي يشرب الخمر، ويضربني، ويعاملني معاملة سيئة، هل أشكيه إلى القانون وأخبر الناس بما يفعله بي).

قرأ الشيخ ورقتي، وقال: (**من صبرت على سوء خلق زوجها، حشرها الله مع الزهراء في الجنة**).. لا يجوز للمرأة أن تفضح زوجها وتهتك حرمة أسرار بيت الزوجية، استعيني بالصبر

والصلاة، وادعي الله أن يُصلح شأن زوجك.

عدتُ إلى المنزل موطّنة النفس على عدم حضور أيِّ محاضرة دينيّة إلّا إذا كان المُحاضِر يعيش الإسلام وعياً ومسؤوليّة.

وكلما بدرت إساءة من زوجي، حوقلت قائلة: ليس تقصيرك يا هذا.. بل تقصير من شرّعوا لكم ظلمنا.

❊ ❊ ❊

تصبيرة!!

عندما كنت صغيرة، كانت جدتي تصبّرني على الجوع بـ (تصبيرة خبز وجبن) حتى يحين موعد الطعام.

عندما كنت أشتاق إلى وجه أمي.. كانت (تصبيرة) شوقي، قبلة أطبعها على صورتها القديمة.

وعندما كنت أطلب شيئاً بإلحاح الطفولة، كنت أسمع من كل الجهات: (اصبري.. اصبري)!

وعندما كبرت، اكتشفت أن كل شيء في الحياة، له (تصبيرة).. وأن الأنظمة التي تسيّر البلاد والعباد، قائمة على (تصبيرة)!!

نحن شعوب، تمت برمجتها على نظام (التصبيرة).. حتى أمسينا لا نؤمن بأهمية الوجبة الرئيسية أو لا نفكّر بمفهوم (الشبع)، لأنّ الأمة التي تصل إلى سدّ احتياجاتها الأساسية من جوع وخوف، ستنتقل إلى مرحلة التفكير بالأمن ومن ثم تعزيز الذات فاحترامها وبالتالي إنتاج الثقافة وابتكار فنون الحياة، وهذا ليس قدرنا والعياذ بالله.

نقرأ في كتابنا العزيز (القرآن)، والذي غابت ثقافته عنا:

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾[قريش: ٣ ـ ٤]. القرآن يريد أن يلفت الأنظار إلى أن احتياجات الإنسان الأساسية لكي يبدأ بالتفكير بالعبادة اثنان: الجوع والخوف، فإن استطعنا أن نسدّ حاجة الإنسان في هذين الأمرين فنوفّر له الطعام لكي يشبع جسده ويطمئن ونوفر له الأمن كي تطمئن روحه ويستقر، عندها فقط يستطيع أن يفكر بالعبادة.

والعبادة التي يريد القرآن أن يثير الفكر باتجاهها، تعني العمل، لأنّ الحديث النبوي يقول: (**العمل مخ العبادة**). فالذي لا يعمل لا عبادة له، والذي لا يفكّر فعبادته خرقاء كالرأس بلا مخ. والإنسان الذي لا عقل له تصفه الطبيعة بـ(المتخلّف) ويُعدّ من المخلوقات التي لا فائدة من وجودها غير كونها ابتلاء لمن حولها.

ويُروى أنّ رسول الله ﷺ دخل ذات يوم إلى المسجد، فرأى أحد الزهّاد يُكثر من العبادة والصلاة دون أن يخرج من المسجد، فتساءل من أين لهذا رزقه ورزق عياله، فأخبروه بأنّ له أخاً يعمل وهو الذي يأتي برزقه ورزق عياله، فقال رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام: (**أخوه أعبَدُ منه**). أي بمعنى أنّ ما يقوم به هذا الشخص لا فائدة منه، فما جدوى عبادة لا تصنع من صاحبها، إنساناً مفكّراً عاملاً مبدعاً منتجاً!

كما أنّ القرآن الكريم، عندما يشجّع الإنسان على فعل الصالحات وعمل الخيرات يصفه بأنّه العامل في سبيل الله، وسبيل الله في القرآن الكريم هو سبيل المجتمع، فبلاحظ

الآيات التي تذكر مصطلح (سبيل الله)، كلّها تصبّ في سياق العمل للآخرين وفعل الصالحات التي عادة ما تكون ذات صبغة اجتماعية تغييرية!! ولذلك جاءت خدمة المجتمع طريقاً للوصول الى الله تعالى، فمن أراد أن يسير على درب الله (سبيل الله)، فعليه بخدمة المجتمع، والارتقاء به من خلال تحسين الخدمات التي تقدّم للناس، أو تحسين ظروف معيشتهم، أو الارتقاء بمستواهم.. أي ما يسمّى بمفهوم (التنمية) سواء الاقتصادية منها أم البشرية.

فالعاملون في مجال التنمية المستدامة بكلّ أشكالها وأنماطها، هم السائرون في سبيل الله!!

لذلك أدرك جيداً، لماذا تمّت تربيتنا على نظام (التصبيرة)!!

ولماذا اختار حكّامنا العرب هذا النظام من دون غيره من الأنظمة في اعتماده لبرمجة خلايانا الدماغية والروحية والعضلية على أساس ذبذباته..

ولماذا في جامعاتنا، يتخرّج الطلاب بتصبيرة (الشهادة) يعلّقها على جدار غرفته يستذكر من خلالها أياماً جميلةً قضاها مع أقرانه في أشياء لم يعد يتذكرها لأنّ يومياته الفعلية لا تجعله يتذكّر سوى جوع بطنه وفراغ عقله.

ولماذا نعتمد في قضايانا السياسية،(التصبيرة)، وفي قضايانا الفكرية هناك (تصبيرة)، وفي قضايانا الاجتماعية تعجّ مفاهيمنا السلوكية بنظريات (التصبيرة).. وفي مساجدنا، تعلو منابرنا، خطابتهم التصبيرية: (كونوا فقراء لأنّ الجنّة يدخلها الفقراء..

لا بأس إن قتلتكم إسرائيل وشرّدتكم طرائق قدداً فالصبر مَنْ سيقودكم إلى الجنة، لأنّكم لا يمكن أن تجتمعوا وإياهم في جهنم.. لتروي دماء أبنائكم، طرقاتكم.. فما الضير في ذلك، فهذه تصبيرة الجنة!!).

أدرك جيداً، لماذا أفرغوا عقولنا من مفاهيم القرآن وقلوبنا من شحنات الإيمان وحياتنا من فكر الصلحاء..

أدرك الآن جيداً، كيف للحاكم السياسي في بلادي العربية، أن يبيعني وأولادي وأرضي بحفنة (تصبيرة) لجوعي وخوفي وضياعي.

كيف تصادر أحلام الفتيات بجرعة (تصبيرة) عندما يغتال منها الحلم على إسفلت الشارع صباح نهار يستعر فيه الصبر كفتيلة قنبلة نووية.

أدرك الآن، أن كل ما قيل ويقال، على مرّ التأريخ والأزمان، هو (تصبيرة) لتخدير الجوع والخوف في مفاصل حياتنا، فنعجز عن التفكير والعمل والعبادة في سبيل الله. فنبقى أمة متشرذمة تترنح بجوعها وخوفها وعارها المفترش على طول الخريطة.

الكلّ يقدمُ لنا (تصبيرة) بطريقته الخاصّة.. ونحن بدورنا نقدمها لغيرنا كأمة صادقة في الحفاظ على تركتها وإرثها العتيق في الخنوع والاستسلام لما يزرعه الغير فينا دون أدنى تفكير في أسباب الرضا (بالتصبيرة) دون أن أفكر برفضها باعتبارها (عرضاً مؤقتاً لتسكين وجع دائم).

آه، لعلّي الآن بدأت أفهم لماذا نسرع إلى الصيدلي لنأخذ منه

مسكن الصداع لتهدئته بدلاً عن البحث عن أسبابه.

فهمت الآن.. نحن أمة تختار أسهل الطرق وأقصرها في دروب الحياة، لذلك كثرت دكاكيننا التجارية و(مُوْلاتنا) واندثرت مكاتبنا ومعاملنا.

نحن أمة المتبضّعين في أسواق الضياع، وأمة الضياع في أسواق البضائع.

عذراً يا محمد بن عبدالله ﷺ، لقد أدمنا (التصبيرة) فتشوّهت ملامحنا ولن تقوى بعد الآن على التعرّف علينا.

أضعنا الطريق إليك.. فهل من تصبيرة؟!

❊❊❊

الفهرس

تصديـــــر ٥

المقدمة........................... ٧

(١) حَبّة حِمَّص ١١

(٢) المرأة وما تملك ١٣

(٣) الكفن الابيض ١٦

(٤) الخنوع زينةُ النساء ١٩

(٥) الملائكة من حزب الرجال ٢١

(٦) السجود لغير الله.................. ٢٤

(٧) أبراج............................ ٢٧

(٨) ما هو المهم؟! ٣٠

(٩) مرارة............................ ٣٥

(١٠) الحبُّ... والحياة.................. ٣٧

(١١) لن يتقدّم لها أيُّ عريس ٣٩

(١٢) كيف يمكن للفتيات الصغيرات حماية أنفسهن

من زواج غير كفؤ؟!................ ٤٣

(١٣) ما يعيب الرجل.................. ٤٦

(١٤) مكالمة: أنقذوا أحلامنا كي ترى النور..... ٤٩
(١٥) الجواد الأبيض ٥٢
(١٦) المساومة على شرفهنّ ورفض الشكوى ٥٥
(١٧) خائفة ٥٩
(١٨) الكنّة والحَمَاة (العمّة) ٦٢
(١٩) بفأس إبراهيم سنكون أسياد الحياة..... ٦٥
(٢٠) خديجة..... ٦٩
(٢١) اللون الأسود..... ٧٣
(٢٢) ما زالت جاريةً لذلك العجوز ٧٦
(٢٣) علامة استفهام..... ٧٩
(٢٤) سُمّ الفأر ٨٣
(٢٥) أرملة ٨٧
(٢٦) المرأة الصالحة وممارسة كلّ طقوس العبوديّة ٩٢
(٢٧) الأميرة: عذراً يا رسول الله إنهم يكذبون عليك ٩٦
(٢٨) شرف العائلة ١٠٢
(٢٩) وينمو الحبّ ١٠٦
(٣٠) فراغات ١١١
(٣١) الناس تُدعى بأمهاتها:معذرة إليك ربّي..
إنّي بريئةٌ مما يعملون ١١٧
(٣٢) ليس الذكر كالأنثى ١٢٠
(٣٣) الأدب النسوي ١٢٣
(٣٤) لأنك امرأة ١٢٧

(٣٥) وجهه مسودّاً: وعُدتُ إلى البيت أرملة ١٢٩
(٣٦) للرجال فقط..................................١٣٤
(٣٧) حور العين....................................١٣٨
(٣٨) لافتة سوداء ١٤٢
(٣٩) قانون..١٤٥
(٤٠) سوق النخاسة ١٥٠
(٤١) رضا زوجها ١٥٤
(٤٢) تصبيرة!! ١٥٨

* * *

علياء الأنصاري أكبر من الألقاب، هي الكاتبة العراقية ابنة بابل (الحلّة) والروائية والإعلامية والناشطة في مجال حقوق الإنسان والمديرة التنفيذية لمنظمة بنت الرافدين/ بابل، إضافة إلى عضويّتها في الكثير من المنظمات الحقوقيّة والبيئيّة والتنمويّة والمشاريع الخيريّة.

مدير المركز الإسلاميّ الثقافيّ
شفيق محمّد الموسوي

المركز الإسلامي الثقافي
مجمع الإمامين الحسنين عليهما السلام